

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

تخصص: دعوة وإعلام واتصال

معهد العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإسلامية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في العلوم الإسلامية

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور

وجهوده في الإصلاح

إشراف الأستاذ:

محمد الصالح غريسي

إعداد الطالبتين:

سارة عازب الشيخ

شفيفة مأمون

السنة الجامعية: 1432/1433هـ - 2011/2012م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملخص

وهذا ملخص بحثنا يجمع شتاته ومتفرقة بأوجز عبارة وأقصر لفظ، فالبحث تناول أبرز إصلاحات العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور الذي أبلى بلاءً حسناً في خدمة الإسلام والمسلمين وإنارة الفكر والعقل الإسلامي، وذلك بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه وبعبريته في العلم.

ففي عصره آنذاك أصاب المجتمع الإسلامي شتى الأمراض التي كان لها الأثر الكبير في ضعفه كالفتن وبعض الانحرافات في العقيدة والبعد عن الاعتدال الذي جاء به الإسلام... وغيرها، فجاء العلامة ابن عاشور وبمثارته العظيمة بضرورة بناء مجتمعات إسلامية والتذكير بالقيم الاجتماعية، فهذا ما دفع الشيخ ابن عاشور إلى تأليف كتاب سماه (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، والقصد منه الردّ على النظريات التي تدعو إلى فصل الإسلام عن الحياة، أما عن إصلاحاته في مجال التربية والتعليم، فقد انصبّت على إصلاح التعليم الزيتوني، وامتاز الشيخ برؤية تعليمية شمولية، تمثلت في صياغة تجديدية للبرامج التعليمية، وقد زاول الإصلاح التعليمي مُتعلّماً ومُعلّماً، فعاش تجربته من الداخل، وكانت له نظرة ناقدة لأحوال العلوم الإسلامية وطرق تعليمها وأسباب الانحطاط التي مرّت بها في مختلف الأزمان، فعلى هذا الأساس ألف الشيخ كتاباً بعنوان (أليس الصبح بقريب) .

Résumé

Trouver le thème (Cheikh Mohammed Tahar Ben Achour et ses efforts de réforme) est soumise à mettre un résumé et leur dispersion et la durée Bodz sporadiques et à court terme, le fils de scientifiques individuelle Assur Alzizna percepteur, a présenté ses possessions de l'effort de réforme en dépit des obstacles qui n'ont pas encore atteint sa détermination. Mis en exergue les réformes de la marque, qui a bien fait au service de l'Islam et les musulmans et l'illumination de la pensée et la pensée islamique, et que la morale et des mœurs Baudhaeh et la tolérance de son génie dans la science. En son temps à la fois violé la société islamique, les diverses maladies qui ont eu un impact significatif sur la Kafattn faiblesse et certains écarts dans la doctrine et retiré de la modération qui a été porté par l'Islam ... et d'autres sont venus et érudit Ibn Ashour, et sa persévérance la grande nécessité de construire des communautés de Musulmans et de rappeler les valeurs sociales, c'est pourquoi Cheikh Ibn Ashour d'écrire un livre intitulé (les actifs du système social en Islam), et est destiné à répondre à des théories qui appelle à la séparation de l'islam de la vie, mais pour ses réformes dans le domaine de l'éducation, a mis l'accent sur la réforme de l'éducation d'olive, et le RPR Cheikh Batalall les grands courants de pensée sur l'éducation et de vise à créer les plus beaux buts les plus nobles et de l'éducation et la production de leaders de la nation en termes religieux et mondains, parce qu'il croit que la réforme éducative fondée sur chaque correctif, Pour un tel livre intitulé Un Cheikh (pas cirer un parent).

شكر و عرفان

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

نبينا محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم

تحية عطره نبعتها لكم

محملة بروح الأخوة والمحبة والإخلاص

ومد يد العون ليكون جزءاً لا يتجزأ من هذا الصرح الشامخ

لكل من لهم بصمة في الإشراف

فبتوفيق من الله عزّ وجل أنجزنا هذا البحث، فله الحمد والشكر والثناء الحسن في الأولى والآخرة، فاللهم اجعل هذا العمل خالصاً لوجهك الكريم، نافعا لنا وللمسلمين في العاجل والآجل.

ومن باب العرفان بالجميل نتقدم بالشكر

الجزيل وخالص التقدير والاحترام إلى أستاذنا المشرف " محمد الصالح غريسي " الذي أفادنا بتوجيهاته السديدة وإرشاداته القيمة، واتسع صدره لأسئلتنا وتحمل عناء رعاية البحث

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساهموا في إعداد هذا البحث بمصدر أو مرجع أو مجلة أو دعاء، لهم منا جميعاً أجلّ معاني الشكر والتقدير.

شفيفة، سارة

حق ك حنة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبنوره تشرق الظلمات، والصلاة والسلام على رسوله ورحمته للعالمين، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

لقد مرّ العالم الإسلامي في الفترة الممتدة بين أواسط القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بأسوأ حقباته التاريخية، سواء كان ذلك في مجال العلوم أو السياسة أو الاقتصاد أو غيرها... إلا أنّ هذا الزمن عرف مُصلّحين كان من أبرزهم: محمد عبده وجمال الدين الأفغاني، وكذلك الشيخ الطاهر بن عاشور الذي هو محلّ دراستنا، فرغبة وشعوراً منّا بأهمية الموضوع وحرصاً على الإطّلاع على هذا الموضوع خاصّة أن الشيخ الطاهر بن عاشور كان له عدّة إصلاحات اجتماعية وعلمية.

لأجل هذا ارتأينا أن يكون بحثنا موسوماً بالعنوان الآتي: **الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وجهوده في الإصلاح .**

* إشكالية البحث: بما أن الإمام محمد الطاهر بن عاشور قدّم جهوداً كبيرة في سبيل الإصلاح في مجالي الفكر الاجتماعي، والتربية والتعليم، فلا شك أنّ له إضافات وإسهامات جديدة في عصره، فما هي جهود ابن عاشور في الإصلاح ومدى تأثيرها في المجتمع؟.

ويمكن تفريع هذه الإشكالية العامّة في صورة أسئلة جزئية كما يلي:

- 1- ما هي أهم السمات التي اشتهر بها الشيخ الطاهر بن عاشور؟.
- 2- ما مدى استجابة المجتمع التونسي لإصلاحات محمد الطاهر بن عاشور في الفكر الاجتماعي؟.

3- هل ابن عاشور يرى أن الإصلاح يبدأ من قاعدة الهرم أو من رأسه أو من كليهما؟.

4- ما هو موقف ابن عاشور من النظم الديمقراطية الحديثة؟ .

5- ما هي المناهج الإصلاحية التي اتبعها محمد الطاهر بن عاشور في التربية والتعليم؟.

6- ما هي أسباب تدهور التعليم والتربية؟.

* أسباب اختيار الموضوع: هناك جملة من الأسباب دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع وهي:

- 1- الشيخ بن عاشور له علاقة كبيرة بتخصص دراستنا فقد كان له الحظ الكبير في مجال التأليف في ميدان العلوم الإسلامية نذكر منها كتابه "أليس الصبح بقریب" الذي أحدث به تغييراً كبيراً في مجتمعه.

2- الرغبة الذاتية وشعورنا بأهمية الموضوع.

3- الرغبة في الإطلاع على الموضوع خاصة من جانب الإصلاحات الاجتماعية وتنمية القدرات المعرفية في هذا المجال .

4- أهمية الموضوع وثراء مجالات البحث فيه, إذ أنه يعدّ حقلاً واسعاً مفتوحاً للدراسة.

5- إماطة اللثام عن بعض الجوانب الغامضة في إصلاحات ابن عاشور.

6- تدهور مستوى التعليم العربي.

الدراسات السابقة:

لا شك أن الباحثين على اختلاف تخصصهم قد تعرضوا للحديث عن إصلاحات ابن عاشور بالتفصيل أحياناً وبالإيجاز أحياناً أخرى ونجد ذلك في:

- من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره, بلقاسم غالي.

- بحوث المؤتمر الدولي حول: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر, رؤية معرفية ومنهجية" أليس الصبح بقريب, تفسير التحرير والتنوير, مقاصد الشريعة الإسلامية, أصول النظام الاجتماعي في الإسلام", فتحي حسن ملكاوي.

- العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي, أحمد عيساوي, مجلة آفاق الثقافة والتراث.

المنهج المتبع: اتبعنا في البحث الخطوات الآتية:

- التتبع الاستقرائي لكتابي: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام و أليس الصبح بقريب للإمام محمد الطاهر بن عاشور.

- التزمنا بعزو الآيات القرآنية في الهامش.

- لم نلتزم بالترجمة لكل الأعلام.

- تخريج الأحاديث الواردة في البحث.

- التزمنا التهميش بطريقة ذكر المؤلف ثم المؤلف.

* خطة البحث:

فمن هذا المنطلق اعتمدنا على خطة بدأناها بمقدمة ثم قسمنا العمل إلى ثلاثة مباحث وكل مبحث يحوي مطالب كما يلي:

المبحث الأول: الذي كان بعنوان: موجز سيرة الإمام محمد الطاهر بن عاشور، والذي حوى على أربعة مطالب هي:

الأول: حياته الشخصية والمتمثلة في نسبه ومولده، شيوخه، تلاميذه، أقوال العلماء فيه .

الثاني: حياته العلمية والمتمثلة في نشأته التعليمية ووظائفه وأوليائه...

الثالث: أشهر فتاويه والمحن التي واجهها.

أما الرابع فكان عن وفاته وأهم آثاره والمؤلفات التي صدرت على إثره في مختلف العلوم.

المبحث الثاني: والمعنون بإصلاحات محمد الطاهر بن عاشور في الفكر الاجتماعي، والذي قسّم إلى ثلاثة مطالب، فكان الأول بعنوان: الفكر الاجتماعي عند ابن عاشور وتناولنا فيه أثر العامل الديني والأديان الإلهية السابقة للإسلام، ثم تناولنا بعدها الحديث عن الإسلام .

أما المطلب الثاني: الذي حوى أصول إصلاح الأفراد، وأهم ما جاء فيه إصلاح الاعتقاد والتفكير، ومكانة المرأة في النظام الاجتماعي.

والمطلب الثالث: الذي كان بعنوان أصول الإصلاح الاجتماعي، تحدّث فيه الشيخ ابن عاشور عن الأخوة، والجامعة الإسلامية ومقومات النظام الاجتماعي في الإسلام.

المبحث الثالث: دار عنوانه حول: منهج ابن عاشور الإصلاحي في مجال التربية والتعليم، والذي اندرج في ثلاث مطالب:

أوّله: الفكر التربوي عند ابن عاشور، وثانيه تحدث عن أسباب تأخر التعليم الزيتوني، وثالثهما تكلم عن حال التعليم في عصره.

* **الصعوبات التي واجهت البحث:** من خلال غوصنا في هذه الدراسة فقد تخلّلتنا بعض الصعوبات التي من أهمها:

- صعوبة الإمام بجوانب الموضوع نظراً لسعته.

- ضيق الوقت خاصة من ناحية إيجاز البحث بالقدر المطلوب.

* المصادر والمرجع: ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

1- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.

2- أليس الصبح بقريب.

3- محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه.

4- من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره.

- وختاماً لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى جميع من ساعدنا من قريب أو بعيد في إعداد هذا البحث، وخاصة أستاذنا المشرف "محمد الصالح غريسي" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجيهاته.

- وأخيراً نأمل أن نكون قد تمكنا من تحقيق ما رغبنا فيه، ونكون قد توصلنا إلى الهدف المنشود من هذه الدراسة ولو بجزء يسير في الإمام بجوانب الموضوع والله المستعان وعليه التكلان وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المبحث الأول: موجز سيرة الإمام محمد الطاهر بن

عاشور

المطلب الأول: حياته الشخصية

المطلب الثاني: حياته العلمية

المطلب الثالث: أشهر فتاويه والمحن التي

واجهها

تمهيد:

الشيخ محمد الطاهر بن عاشور علم من أعلام هذا العصر، ورُكن من أركان الحركة الإصلاحية وإمام مجتهد من الأئمة الذين يوضح الله بهم طريق الإنسانية ومفخرة تونس العلمية، فيها عزم على إنجاز مشروعه الإصلاحي من خلال التعليم الزيتوني. وقد بلغ شأواً بعيداً في مضماره، والشيخ سليل أسرة كريمة بالدين جليلة بالفقه توارث أهلها المناصب العلمية والسياسية وقد تفوق على جيله من مشايخ الزيتونة، فكان آية من آيات الله في لقانة¹ الذهن وأصالة العقل، وقوة الحافظة ونفاذ المهمة².

المطلب الأول: حياته الشخصية

1- عصره: عاصر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أسوأ حقبة مرت بها الأمة العربية والإسلامية ويمكن تصنيفها ضمن ما يسمى بمراحل الانحطاط والركود سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وثقافياً... ويمكن أن نلخص أسباب ومظاهر هذا التخلف:

1- سقوط الخلافة العثمانية سنة (1325هـ/ 1909م).

2- التسلط المباشر الأجنبي على البلاد الإسلامية.

3- الصراع السياسي بين الدويلات والتكتلات الإسلامية.

4- انتشار الجهل وسيطرة الخرافات والبدع .

5- انتشار الفساد وضعف حركة الإصلاح³.

وقد شهدت تونس في الحقبة التي ولد فيها الشيخ محمد الطاهر بن عاشور -عاش وتربى- حقبة اضطرابات وفوضى سياسية ولا سيما بعد فرض بنود معاهدة الحماية المذلة عليها وضعف الخلافة العثمانية عن حمايتها⁴.

¹ - لقن [تلقيناً] الشخص الكلام : فهمه إياه مشافهة، المتقن الوسيط، معجم عربي عربي، هزاز الراتب وجميل أبو نصري، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (دس)، (دط)، ص345 .

² - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ - 1996م، ص05 .

³ - مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، السعودية، 1424-1425 هـ، ص4-5 .

⁴ - العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ص101.

2- نسبه ومولده:

تعود أسرة آل عاشور إلى الشيخ العالم محمد بن عاشور الأول الذي ولد في مدينة (سلا) بالمغرب بعد خروج والده من الأندلس إلى المغرب فاراً بدينه من القهر والتنصير⁵، ولم يمكث طويلاً حتى انتقل إلى تونس سنة 1060هـ/1648م⁶.

وهو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور . كان مولده بقصر جدّه لأمه "بالمرسى" من ضواحي عاصمة تونس في جمادى الأولى سنة 1296هـ الموافقة لشهر سبتمبر 1879م⁷.

وفي كنف جدّه للأُم نشأ مترجمنا نشأته المميزة، فبدأ حياته العلمية كسائر أبناء جيله بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ المقرئ (محمد الخياري) بمسجد (سيدي أبي الحديد) ثم حفظ المتون الأولى التي تمكنه من مبادئ العلوم العربية والدينية⁸.

تزوج ابن عاشور السيّدة فاطمة بنت نقيب الأشراف بتونس السيد محمد محسن، وأنجبت له أربعة بنين هم: المرتضى، محمد الفاضل، وعبد الملك وزين العابدين، وبنّتين هما : صفية وأم هاني⁹.

3- شيوخه وتلاميذه وأقوال العلماء فيه:

3-1 شيوخه¹⁰: أخذ الشيخ عن ثلّة من علماء عصره وكان أبرزهم :

- جدّه للأُم الشيخ محمد العزيز بن محمد الحبيب بوعتور (1240/1325هـ = 1907م).

⁵ - بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)، خالد أحمد الشامي، مركز إحياء تراث آل بيت ط1، 1425هـ-2005م، ص17.

⁶ - مقصد حفظ العقل عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، محمود باي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 1426-1427هـ - 2005-2006م، ص02.

⁷ - كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 1428هـ-2007م، ص7.

⁸ - مجلة آفاق الثقافة والتراث، أحمد عيساوي، ص103 .

⁹ - علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياذ خالد الطّباع، دار القلم، دمشق، ط1، 1426هـ-2005م، ص26 .

¹⁰ - المرجع نفسه، ص34-39 .

- الشيخ سالم بوحاجب (1244هـ/1828م) (1342هـ/1924م) - الشيخ عمر بن أحمد بن علي بن حسين بن علي بن قاسم المعروف بـ "ابن الشيخ" (1239هـ - 1826م) (1329هـ=1911م) - الشيخ محمد بن عثمان النجار (1247هـ/1832م) - الشيخ محمد النخلي (1286هـ/1869م) - الشيخ محمد بن الخوجة (ت 1325 هـ) - الشيخ محمد طاهر جعفر - الشيخ محمد صالح الشاهد - الشيخ محمد العربي الدرعي - الشيخ محمد الخياري - الشيخ عمر بن عاشور.

3-2 تلاميذه¹¹: تعلم على يده جمّ غفير من الجمهور التونسي والجزائري ممن كان يقصد الزيتونة، فكان منهم الأديب والفقيه والمؤرخ والصحافي والاقتصادي منهم :

- محمد الصادق ابن الحاج محمود (1332هـ/1914م) (1398هـ/1978م).
- الشطي محمد الصادق بن محمد (1312هـ/1894م) (1364هـ/1945م).
- ابن شعبان أبو الحسن بن شعبان (1315هـ/1897م) (1383هـ/1963م).
- محمد الفاضل ابن الإمام محمد الطاهر بن عاشور (1327هـ/1909م) (1390هـ/1970م).
- محمد العيد آل خليفة (1323هـ/1904م) (1399هـ/1979م) .

3-3 ثناء العلماء عليه : لقد كان العلامة محمد الطاهر ابن عاشور - رحمه الله - علماً بارزاً من أعلام الفكر العربي الإسلامي، وممن تبوأ مكانة عالية مرموقة، وقدم إصلاحات عظيمة، وأثرى المكتبة الإسلامية والساحة الفكرية بمؤلفاته القيمة العظيمة، ومن هنا توالى الإشادة والتتويه بأعماله العظيمة، وجهوده القيمة في حياته وبعد وفاته، وحسبنا أن نورد هنا بعض أقوال علماء عصره في الثناء عليه من أقرانه وتلاميذه .

وقال عنه صديقه الشيخ محمد الخضر حسين: " ... ولأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر وصفاء الذوق وسعة الاطلاع في آداب اللغة ... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم".

ومما قال عنه الشيخ: محمد البشير الإبراهيمي: " علم من الأعلام الذين يعدهم التاريخ الحاضر من ذخائره ... فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية تخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي " ¹² .

ونوه فيه الشيخ عبد العزيز المسعودي بمواهبه الفطرية وقال :

وأصبح الجامع المعمور مبتهجاً حيث استقر له بالعلم تعميراً
وليس من خطط التدريس أعظمها لما علا منك في التدريس تقرير
وجئت نحو مقام العلم تشهده ثمار غرس له والقلب

مسرور

فجئت بالواجب المقصود تشرحه ولم تحد عن مقام فيه تفسير ¹³
تلك هي شخصية الشيخ ابن عاشور رحمه الله، وهي من الشخصيات العظيمة التي أبلت بلاء حسناً في خدمة الإسلام والمسلمين، وإنارة الفكر والعقل الإسلامي، وقدمت جهوداً عظيمة في ميادين شتى، وآفاق واسعة لا تُتسى على مدار الزمان.

المطلب الثاني: حياته العلمية

1- نشأته التعليمية:

1-1 تعليمه الأولي: نشأ الشيخ نشأة علمية منذ صغره، فاتجه إلى حفظ القرآن أولاً من شيخه محمد الخياري في مسجد أبي حديد بنهج الباشا في تونس، ثم تلقى العلوم الأولية التي تؤهله إلى التعليم العالي في جامع الزيتونة وحفظ بعض المتون في سن مبكرة .

2-1 الدراسة الزيتونية: عند بلوغ ابن الرابعة عشر من عمره التحق بالتعليم في جامع الزيتونة الأعظم ¹⁴، وثابر على تعليمه به حتى أحرز شهادة التطويع ¹⁵ سنة 1317هـ/1899م ¹⁶ .

¹² — كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور، ص10 .

¹³ — أعلام من المغرب العربي، محمد الصالح الصديق، ص718-719 .

¹⁴ — مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، ص1-12 .

¹⁵ — شهادة تخرج وتعني انتهاء التعليم الثانوي، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطباع، ص28 .

¹⁶ — بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره (التحرير والتنوير)، خالد أحمد الشامي، ص19-20 .

وأبرز ما قرأه من كتب في هذه المرحلة، ففي النحو: قرأ (سيدي خالد، والقطر، ولامية الأفعال، والآشموني والمغني بشرح الدماميني)، وفي البلاغة قرأ (التلخيص، والمطول ومفتاح العلوم، والدمنهوري على السمرقندية وغيرها)، وفي المنطق قرأ (السلم والتهديب)، وفي علم الكلام قرأ (الوسطى، والعقائد النسفية، والعقائد العضوية بشرح سعد الدين التفتراني)، وفي الحديث درس (صحيح البخاري ومسلم، وكتب السنن) وفي السيرة قرأ (الشفاء للقاضي عياض بشرح الشهاب الخفاجي)¹⁷.

2- وظائفه: تولى ابن عاشور مناصب علمية وإدارية بارزة منها:

- في سنة 1899م شرع الشيخ في الإقراء بجامع الزيتونة الأعظم بوصفه متطوعاً، ثم انظم إلى سلك التدريس بجامع الزيتونة عام 1900م¹⁸.
- في سنة 1904م انتدب للتدريس بالمدرسة الصادقية وبقي بها حتى سنة 1932م خلال مباشرته للقضاء .
- في سنة 1905م عين عضو بمجلس إدارة الجمعية الخلدونية وفي نفس السنة شارك في اللجنة المكلفة بوضع فهرس للمكتبة الصادقية، وشارك في مناظرة تدريس للطبقة الأولى بجامع الزيتونة وكان الموضوع بيع الخيار في الفقه، وكانت خطة التدريس عوضاً عن الشيخ حسين بن حسين (ت 1906) .
- في سنة 1907م عين نائباً للحكومة لدى النظارة العلمية بجامع الزيتونة .
- في سنة 1908م سمي عضواً في لجنة تنقيح برامج التعليم .
- في سنة 1909م سمي عضواً بمجلس المدارس، وبمجلس إدارة المدرسة الصادقية¹⁹.
- في سنة 1910م ترأس لجنة فهرسة المكتبة الصادقية، وفي نفس السنة سمي عضو بمجلس إصلاح التعليم الثاني بجامع الزيتونة .
- في سنة 1911م عُيِّن عضو بمجلس الأوقاف الأعلى، وفي نفس السنة اختير حاكماً بالمجلس المختلط العقاري .

¹⁷ — مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، ص12.

¹⁸ — المرجع نفسه، ص15 .

¹⁹ — محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطباع، ص50 — 51.

- في سنة 1913م عين قاضيا مالكيًا للجماعة بالمجلس الشرعي وذلك حتى سنة 1923م وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية²⁰ المديرية لشؤون جامع الزيتونة²¹.
- في سنة 1923م عين مفتيًا إذ سمي نائبًا عن الشيخ باش مفتي²².
- في سنة 1924م عُيِّن مفتيًا ثانيًا مكلفًا بمنصب باش مفتي، وفي نفس السنة عُيِّن عضواً في مجلس الإصلاح الثالث.
- في سنة 1927م ارتقى إلى منصب كبير أهل الشورى.
- في سنة 1930م عُيِّن عضواً في مجلس الإصلاح الرابع.
- في سنة 1932م تسلّم منصب شيخ الإسلام المالكي.
- في سنة 1933م عُيِّن شيخاً للجامع الأعظم وفروعه.
- في سنة 1944م عاد مباشرة إلى مهامه للجامع الأعظم وفروعه بعد أن استقال سابقاً حتى 1951م بسبب العراقيل والصعوبات التي وقفت في وجهه.
- - في سنة 1955م انتخب عضواً مراسلاً في المجمع العلمي العربي²³.
- في سنة 1956م عُيِّن عميداً للجامعة الزيتونية إثر استقلال البلاد وبقي في هذا المنصب حتى 1960م²⁴.
- 3- أولياته:** وللشيخ ابن عاشور أوليات تستحق الوقوف عنها والإشارة إليها وهي مظهر من مظاهر تميز شيخنا رحمه الله، وهذا ما تيسر جمعه لدينا من ذلك أنه:
 - أول من فسّر القرآن الكريم كاملاً في إفريقية²⁵، وذلك في كتابه: " التحرير والتنوير " .
 - أول من جمع بين منصب شيخ الإسلام المالكي، وشيخ الجامع الأعظم (الزيتونة).

²⁰ - النظارة العلمية: هي الهيئة التي تشرف على التعليم بجامع الزيتونة، وهي تتركب من شيوخ الإسلام المالكي والحنفي والقاضيين المالكي والحنفي، ينظر: الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطباع، ص79.

²¹ - محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطباع، ص51-52.

²² - أي رئيس المفتين وهو لقب تفخيمي أحدثته الدولة الحسينية. ينظر: المرجع نفسه، ص53.

²³ - مجمع اللغة العربية بدمشق قديماً. ينظر: محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطباع، ص55.

²⁴ - المرجع نفسه، ص53-55.

²⁵ - إفريقية: بكسر الهمزة، هو اسم للبلاد الواسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، ويقال أنها سميت نسبة إلى إفريس ابن أبرهة ابن الرانش، وهو إفريس ابن صيفي بن سبا بن يشجب بن يعرب ابن قحطان، وحد إفريقية من طرابلس الغرب من جهة برقة والإسكندرية إلى بجاية، وفتحت إفريقية في عهد الخليفة الراشدي عثمان ابن عفان. ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ج1، دار صادر بيروت، ط1، 1397هـ-1977م، ص228-229.

- أول من سمي شيخاً للجامع الأعظم سنة 1351 هـ/1932 م ليتولى الإصلاحات العلمية والتعليمية .
- أول من لُقّب بشيخ الإسلام بتونس، وهو لقب تفخيمي تداولته الرئاسة الشرعية الحنفية بتونس منذ القرن 10 هـ .
- أول من تقلّد جائزة الدولة التقديرية للدولة التونسية، ونال وسام الاستحقاق الثقافي سنة 1968م وحصل على جائزة رئيس الجمهورية في الإسلاميات عامي 1972/1973م.
- أول من أحيى التصنيف في مقاصد الشريعة في عصرنا الحالي بعد العز بن عبد السلام والشاطبي .
- أول من أدخل إصلاحات تعليمية وتنظيمية في الجامع الزيتوني في إطار منظومة تربوية فكرية، فأضاف إلى الدراسة مواد جديدة كالكيمياء والفيزياء والجبر وغيرها وأكثر من دروس الصرف، ومن دروس أدب اللغة²⁶.

المطلب الثالث: أشهر فتاويه والمحن التي واجهها

تميزت فتاوى الشيخ بالدقة والعمق والضبط والمعرفة العميقة لأحوال المستفتين والاستجابة الحقيقية وتطلعاتهم، والتزامه بالفقه المالكي فروعاً وبالعقيدة الأشعرية²⁷ أصولاً، والجديّة والتجديد والاجتهاد والواقعية مع النّقيذ بالكتاب والسنة وكذلك بسلامة مقصدها الشرعي وعدم تسخيرها من قبل الجهات المشبوهة²⁸.

1- أشهر فتاويه:

1-1 الفتوى الترنسفالية²⁹ : صورة الاستفتاء:

- المسألة الأولى : يوجد أفراد يلبسون البرانيط (القبعات) لقضاء مصالحهم، وعود الفوائد إليهم فهل يجوز ذلك أم لا ؟

²⁶ - محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطّباع، ص 79-80 .

²⁷ - العقيدة الأشعرية : فمذهب الأشاعرة في العقيدة قائم على آراء أبي الحسن الأشعري رحمه الله في مرحلته الثانية لما اتبع بن كلاب، وهم أهل السنة في ما وافقوا فيه السنة، كأبواب السمعيات وكثير من مباحث النّبوات...، أما مباحث الإلهيات فهم مخالفون فيها. ينظر: 27552 <http://www.islamweb.net/fatwa/index.php?page=showfatwa&Option=FatwaId&Id=>

²⁸ - مجلة آفاق الثقافة والتراث، أحمد عيساوي، ص 114، بتصرف.

²⁹ - نسبة إلى إقليم الترنسفال باتحاد جنوب إفريقيا وهي بلاد يكثر فيها اختلاط المسلمين بغيرهم، ينظر: المصدر نفسه، ص 114.

وقد أجاب عنها بقوله : أما لبس البرطنية(القلنسوة) إذا لم يقصد فاعله الخروج عن الإسلام، والدخول في دين غيره فلا يعد مكفرا . وإذا كان اللباس لحاجة، من حجب الشمس أو دفع مضرة أو دفع مكروه أو تيسير مصلحة لم يكره كذلك لزوال التشبيه .

- **المسألة الثانية :** أن ذبح نصارى الترنسفال مخالف، وذلك أنهم يضربون البقر بالبلطة(الشافور) وبعد ذلك يذبحونها بغير تسمية فهل يجوز أكل ذلك؟.

وقد أجاب عنها بقوله: جواز أكل البقر المضروب بآلة حادة، ثم يذبح بعد ذلك بدون تسمية لعموم قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾³⁰ والله حين أباح لنا طعامهم كان أعلم بحالهم ونوع ذكائهم .

- **المسألة الثالثة :** أن الشافعية يصلون خلف الحنفية بدون تسمية، ويصلون خلفهم العيدين، ومن المعلوم أن هناك خلافا بين الشافعية والحنفية في فريضة التسمية وتكبيرات العيدين فهل تجوز صلاة كل خلف الآخر أم لا؟.

وقد أجاب عنها بقوله بصحة صلاة كل من الحنفي خلف الشافعي والعكس، لأن اختلاف الأئمة في الفروع لا ينبغي أن يترتب عليه تفريق شمل المسلمين وجعلهم شيعة شتى يضرب بعضهم رقاب بعض³¹.

1-2 فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة وحول الميت وحول قبره : لما أثارت الفتوى الترنسفالية ضجة فإنّ فتوى قراءة القرآن عند تشييع الجنازة أثارت ضجة أكثر وأقوى في الجزائر بين الإصلاحيين من أنصار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين³² والطرق الصوفية³³، وقد أفاض القول فيها ودقق النظر وحسم شقة الخلاف في المسألة حيث أجاز لمن أراد القراءة بنية التذكير، وأجاز ترك القراءة لمن كانت نيته التفكير والصمت والاعتبار .

³⁰ - سورة المائدة، الآية 05 .

³¹ - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي ، ص133 .

³² - جمعية العلماء الجزائريين : تأسست هذه الجمعية بتاريخ 05مايو-1931م، وبرنامجه هو : إصلاح عقيدة الشعب الجزائري وتنقيحها مما لحق بها من الخرافات والبدع، وأيضاً محاربة الجهل بتنقيف العقول والرجوع إلى القرآن والسنة في التربية والتعليم وكذلك المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري بمقاومة التنصير والفرنسة والدعوة إلى استقلال الجزائر، ينظر: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية : مصطفى حميدانو ، ط1 1977م، ص98 .

³³ - مجلة آفاق الثقافة والتراث، أحمد عيساوي، ص114.

2- محن الشيخ:

2-1 فتوى التجنس: بعد صدور قانون التجنس بالجنسية الفرنسية للاستعمارية للراغبين في التجنس³⁴ من الجزائريين والتونسيين في 03 أكتوبر 1910م مما اضطر علماء الجزائر إلى إصدار فتوى تحريم التجنس بالجنسية الأجنبية تحريماً مطلقاً، ودعوا المتجنس للتوبة منه، والحكم بردته وكفره، وقد وافقهم مجلس الفتوى المالكية بتونس برئاسة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، واشترطوا شروطاً لقبول المتجنس، كعودة نطقه بالشهادتين وتوبته من كل تبعات التجنس، وتخليه عن الامتيازات التي لحقته من التجنس، ولم تعجب السلطات الاستعمارية هذه الفتوى.

2-2 فتوى الإفطار في رمضان : في سنة 1961م دعت حكومة الاستقلال الوطني التونسية الجماهير الشعبية من العمال وغيرهم إلى الإفطار في رمضان بدعوى أن الأمة الإسلامية تتعطل أعمالها لمدة شهر كامل ويتناقص إنتاجها، وطلبت الحكومة من الشيخ أن يُصرّح في الإذاعة بفتوى تُبيح الإفطار في رمضان ولكنه امتنع عن إصدارها، وذكر كل مُفطر بدون عذر شرعي كالمرض والسفر وما إلى ذلك من الأعذار التي حددها الشرع يجب عليه فيها القضاء، فناصبت الحكومة التونسية العداء للشيخ عند رفضه إصدار هذه الفتوى، وظل يعاني من إساءات السلطة له حتى وفاته³⁵.

المطلب الرابع : وفاته وأهم آثاره

1- وفاته: بعد عطاء علمي وفير ومتميز وبعد جهد إصلاحى ودعوى في البناء والارتقاء، وبعد جهاد مرير ضد المستعمر، وبعد سنوات حافلة بالعطاء في شتى المجالات العلمية والإدارية، توفي — رحمه الله — بضاحية المرسى قرب تونس العاصمة، يوم الأحد 13 رجب 1394هـ الموافق لـ 12 أغسطس 1973م، ووري الثرى رحمه الله بمقبرة الزلاج في مدينة تونس، وبموته ودّعت تونس أبرز شخصية علمية في القرن الرابع عشر هجري رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه³⁶.

³⁴ — التجنس هو الانسلاخ من جنس الذي ينتمي إليه الإنسان والدخول في جنسية أخرى تختلف تماماً عن الأولى من حيث المنشأ ونظام الدولة، والانصهار في نظام الدولة الجديدة عملاً بقوانينها، انظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم الغالي، ص 138.

³⁵ — مجلة آفاق الثقافة والتراث، أحمد عيسوي، ص 114-115.

³⁶ — محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إياد خالد الطّباع، ص 87.

2- مؤلفاته: خُفّ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عددا كبيرا من المؤلفات، في مختلف نواحي العلم والمعرفة، في الحديث، والتفسير، واللغة، والنحو، والبلاغة، والأدب، والدراسات الإسلامية عموماً، والتاريخ وغير ذلك، وهذه المؤلفات تنبئ عن عظيم مكانته في العلم ورفعة شأنه؛ وقد بلغت هذه المؤلفات حوالي أربعين كتاباً تأليفاً وتحقيقاً، منها المطبوع والمخطوط .

- مؤلفاته في علم التفسير: تفسير التحرير والتنوير (مطبوع) .
- مؤلفاته في الحديث النبوي الشريف: كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (مطبوع) ، تعليقات وتحقيق على حديث أم زرع (مخطوط).
- مؤلفاته في الفقه وأصوله: آراء اجتهادية (مخطوط)، الفتاوى (مخطوط) .
- مؤلفاته في الدراسات الإسلامية: أصول التقدم في الإسلام (مخطوط) ، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام (مطبوع) ، أليس الصبح بقريب (مطبوع)
- مؤلفاته في اللغة والأدب: أصول الإنشاء والخطابة (مطبوع) ، الأمالي على دلائل الإعجاز للجرجاني (مخطوط) ، ديوان النابغة الذبياني (مطبوع) .
- مؤلفاته في التاريخ والتراجم: تراجم بعض الأعلام (مخطوط) ، قصة المولد النبوي الشريف (مطبوع).

- مقالات الشيخ ابن عاشور في الدوريات: للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور العديد من المقالات في كثير من المجلات والدوريات، ففي تونس نُشرت مقالاته في الصحف والمجلات مثل: (السعادة العظمى)، (النهضة)، وفي القاهرة حرر في: (مصباح الشرق)، (مجلة المنار) ، وفي دمشق كتب في (مجلة المجمع العلمي العربي) ³⁷ .

المبحث الثاني: إصلاحات ابن عاشور في الفكر

الاجتماعي

المطلب الأول: الفكر الاجتماعي عند ابن عاشور

المطلب الثاني: أصول إصلاح الأفراد

المطلب الثالث: أصول الإصلاح الاجتماعي

تمهيد:

الإسلام نظام اجتماعي متكامل، فعند مجيئه كون حضارة، وأنشأ مدنية³⁸ وكان الأساس العقائدي للفكر الإسلامي الذي كفل حقوق الفرد كاملة، وحقق في المجتمع الإسلامي من الحرية والإخاء والمساواة ما لم يكن للحضارة الإنسانية به عهد، وقد كانت الشريعة عملية في تطبيقها على واقع الحياة بآدابه وأخلاقه وعقوباته...

ثم أصابت أمراض شتى المجتمع الإسلامي في السابق وكان لها كبير الأثر في ضعفه منها: الفتن التي حدثت منذ مقتل عثمان في عهد علي رضي الله عنهما، وكذلك إشاعة الفكر الجبري، انحرافات في العقيدة، والبعد على الاعتدال الذي جاء به الإسلام، كالأفكار الوثنية، فكر المرجئة³⁹، وغيرها من الأسباب⁴⁰...

وبدأت الأمة الإسلامية تتقهقر ودبّ الضعف والوهن في أوصالها، وساءت أحوالها السياسية والاجتماعية والاقتصادية وصارت تعيش واقعا مريراً بسبب البعد عن منهج الله سبحانه وتعالى.

وقد تعرض المجتمع الإسلامي للطابع الإيديولوجي⁴¹ للمجتمع الغربي سواء في القرن التاسع عشر أو العشرين، ولم تكن لديه مناعة في رفضه وتحديه... فتعرض للغزو وزاد ضعف المجتمع الإسلامي وتبعيته للغرب... ولقد أدرك علماء الإسلام الخطر المحيط بالمجتمعات الإسلامية فأنبأوا يذكرون بأصول النظام الاجتماعي في الإسلام، وقام الشيخ ابن عاشور منذ فجر استقلال كثير من الدول الإسلامية بإصلاحات⁴².

³⁸ مدنية civilisation: تدل على نمط الحياة في المدينة، وعند الأغلبية وهي مرادفة للحضارة، ينظر: في التأصيل الشرعي والوعي السياسي (1) الدولة المدنية مفاهيم وأحكام، أبو فهر السلفي، العصرية للنشر والتوزيع ط1، 1432هـ/2011م، ص23.

³⁹ - المرجئة: فرقة إسلامية تعرف بمقولتها: لا تنفع مع الإيمان معصية، ولا تنفع مع الكفر طاعة، ينظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن علي بن إسماعيل (الأشعري)، ت: محمد يحيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ج1، ط1، 1369هـ/1950م، ص212.

⁴⁰ - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص155.

⁴¹ - الإيديولوجيا: فن البحث في التصورات والأفكار، مذهب يعتبر الأفكار المتخذة بذاتها، يقطع النظر عن ما كل ما هو وراء الطبيعة، منجد اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهنائي الأزوي، دار المشرق بيروت، لبنان، ط29، 1986م، ص22.

⁴² - الإصلاح ضد الإفساد، أي جعل الشيء صالحاً، ويقال صلح بعد أن كان فاسداً، ويقال صلح بمعنى وجد من أول وهلة صالحاً. وقالوا ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: 11]. ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، ج1، الكتاب الأول، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص285. الإصلاح ضد الفساد، صلح يصلح وصلاً وصلاً وهو صالح وصليح، والجمع صلحاء وصلوح؛ وصلح كصلح (لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص506).

والتذكير بالقيم الاجتماعية الإسلامية، عساها تبني مجتمعاتها على أساس إسلامي⁴³.

المطلب الأول: الفكر الاجتماعي عند ابن عاشور

التذكير بالقيم الاجتماعية الإسلامية وضرورة بناء المجتمعات الإسلامية على أسسها ونبذ غيرها من الإيديولوجيات التي دفعت الشيخ ابن عاشور إلى تأليف كتاب فيها سمّاه: "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، وغرضه من تأليفه هذه هو البحث عن روح الإسلام وحقيقته من جهة مقدار تأثيرها في تأسيس المدنيّة الصالحة، والشيخ بعمله العلمي هذا يرد على النظريات التي تحط من قيمة الإسلام وتنعت روحه بأنها منافية للمدنيّة وكذلك رفض النظريات التي تدعو إلى فصل الإسلام عن الحياة"⁴⁴.

1- الدين ضرورة إنسانية: يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن الدين ضرورة حتمية للبشر، ليعت فيهم الفضائل والإحسان لأنفسهم وللناس، وهو خير وازع لهم، لصدّهم عن الشهوات والعدوان، لأنّ من أهمّ تعاليمه محاسبة المرء نفسه في سلوكها باعتبار أنّ الذي خلقه قد أراد منه السيّر على تلك التعاليم، وأنه منه بالمرصاد في تنفيذه لتلك التعاليم⁴⁵، وهذا هو مقصد الأديان كلها سواء منها ما كان إلهيا أو ما كان وضعياً. ثم أفرد ابن عاشور الأديان السماوية ببيان محاسنها؛ وأن لها دوراً كبيراً في صلاح البشر أفراداً وجماعات، لذلك لم تزل الأديان مصابيح هدى قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾⁴⁶

فمراد الله في الأديان كلها منذ النشأة إلى ختم الرسالة واحد، وهو حفظ نظام العالم وصلاح أحوال أهله⁴⁷، قال تعالى ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا

⁴³ - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص156 .

⁴⁴ - المرجع نفسه، ص158 .

⁴⁵ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 1427هـ/2006م، ص6.

⁴⁶ - سورة الأنعام، الآية: 155/156.

⁴⁷ - بحوث المؤتمر الدولي حول: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية "أليس الصبح يقرب تفسير التحرير والتنوير، مقاصد الشريعة الإسلامية، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، فتحي حسن ملكاوي، مكتب التوزيع في العالم العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1432هـ/2011م، ص68.

يُحِبُّ الْفَسَادَ⁴⁸. وقال على لسان بعض رسله: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾⁴⁹.

2- الإسلام خير الأديان : يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن الناس قبل الإسلام كانوا يعيشون في أحوال الشرك، والوثنية والجهالة، وحتى إذا كانت هناك معارف لدى بعض الأمم، فإنها مخلوطة بأوهام وتخيلات، حالت دون إصلاح العالم⁵⁰، فلما ظهر عن غيره من الأديان بميزات أهلته بأن يقوم بدوره على أكمل وجهه وهي :

1-2 العموم : إن دعوة الإسلام موجهة إلى الإنسانية قاطبة وليست خاصة بقوم دون آخرين كما هو شأن الأديان السابقة، التي انتصفت بالمحدودية في الزمان، والمحدودية في الأقوام، ولذلك كان الإسلام خاتما للأديان، فلا ينتظر بعده دين أو وحي .

2-2 الشمول : إن أصول الإسلام وتعاليمه شاملة لجميع مناحي الحياة، ومن ثم امتزج الدين بالشريعة لضبط أحوال الأمة في نظامها الاجتماعي، وفي تصاريف حياتها كلها⁵¹ .

2-3- الأصول الإسلامية : إن الأصول العامة للشريعة الإسلامية التي يجب مراعاتها في تأسيس نظام المجتمع الإسلامي هي⁵² :

- **الفطرة:** " الإسلام دين الفطرة " لقد توسع الشيخ ابن عاشور في بيان هذه الخاصية منطلقاً من الآية الكريمة: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁵³، ثم استعرض ما قاله بعض المفسرين من أن المراد "بالدين" هو التوحيد⁵⁴، وهو الموصوف بالفطرة، ولكنه عارض هذا الرأي لأنه سيؤدي - في نظره - إلى اعتبار الدين الذي هو دين الفطرة، خاصاً بالجزء الاعتقادي

48 - سورة البقرة، الآية: 205.

49 - سورة هود، الآية: 88.

50 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص11.

51 - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي حسن ملكاوي، ص72.

52 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص15.

53 - سورة الروم، الآية: 30.

54 - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي حسن ملكاوي، ص72.

فقط، بينما الدين يشتمل على فروع كثيرة كل واحد منها يسمى ديناً، ثم رجّح ما ذهب إليه ابن عطية⁵⁵ وغيره... من أنّ المراد بالفطرة: مجموع شريعة الإسلام⁵⁶.

- **الاعتدال أو التوسط:** فالاعتدال قوام الصفات الفاضلة وعماد الفطرة السليمة ويعبر عنه بالتوسط بين طرفين بحيث لا ينفذ أحدهما بالتأثير وطرده الطرف المقابل ولا يأخذ أحدهما أكثر من حقه... فشريعة الإسلام سلكت منهج الوسطية عند سن أصولها التشريعية ولم تنزع إلى الإفراط أو التفريط بل عمدت إلى الاعتدال⁵⁷ فسلمت من الغلو الذي يبتكره قادة الناس ذوو النفوس الطامحة إلى السيادة بحسن نية أو بضده إفراطاً في الأمور... وسلمت من التقصير الذي هو في الغالب من شيم الأتباع المناقدين أهل النفوس⁵⁸، وقد أشاد الشيخ بهذا الأصل الذي يمتاز به التشريع وما كان له من أثر في بناء المجتمع.

- **السماحة:** السماحة سهولة المعاملة فيما اعتاد الناس فيه المشادة، فهي وسط بين الشدة والتساهل، وقد فكر الشيخ ابن عاشور مكانة السماحة في الإسلام واستشهد على ذلك بنصوص كمثل قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁵⁹ وفي الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: "رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع، سمحاً إذا اشترى، سمحاً إذا اقتضى"⁶⁰ أي يكون باذلاً في حالات المشادة.

وقال ﷺ: "بعثت بالحنفية السمحة"⁶¹ ثم علل سبب كونها أصلاً تشريعياً فقال: إن للسماحة أثراً في سرعة انتشار الشريعة وطول دوامها، إذ أرونا التاريخ أن سرعة امتثال الأمم في الشرائع ودوامهم على إتباعهم كان على مدار اقتراب الأديان من السماحة، فإذا بلغ بعض

55 - ابن عطية: هو الإمام عبد الحق بن الشيخ أبي بكر بن غالب، عرف بابن عطية القيسي الغرناطي، ولد سنة 481، وتوفي بمدينة لورقة سنة 546، كان إماماً جليلاً وكاتباً بليغاً، وشاعراً مطبوعاً، له تفسير جليل سماه "المحرر الوجيز" وهو من أجمع التفاسير لمعاني القرآن بلاغته وأحكامه. ينظر أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، ص16.

56 - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي حسن ملكاوي، ص72/73.

57 - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص163.

58 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص21.

59 - سورة البقرة، الآية: 185.

60 - صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، اعتنى به أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش، مكتبة الرشد - ناشرون - المملكة العربية السعودية - الرياض ط2، 1427 هـ - 2006 م، كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في البيع والشراء ومن طلب حقاً فليطلبه في عفاف، رقم (2076).

61 - سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي السمرقندي، تح: فؤاد أحمد زمري، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407 هـ، كتاب المناسك، رقم (74).

الأديان من الشدة حدًّا متجاوزًا الأصل السماحة فلم يلبثوا أتباعه أن ينصرفوا أو يفرطوا في معظمه⁶².

- الواقعية: "الإسلام حقائق لا أوهام".

لقد ركز الشيخ محمد الطاهر بن عاشور على هذه الخاصية التي اختص بها الإسلام، مخصصا لها أكثر من اثنتي عشر صفحة في كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، ويبدو أنه كان يروم من خلال ذلك، الرد على الهجمة الشرسة، التي أعلنها الغرب على الإسلام من حيث كونه ديانة مضادة للتّمدن، افتتح الشيخ ابن عاشور حديثه عن هذه الخاصية بقوله: إنها صفة عظيمة من صفات الإسلام، يتجلى من خلالها التمايز بينه، وبين غيره من الشرائع وهي أساس إصلاح التفكير، وإعلان الحق بين الناس، ثم أوضح معنى كون الإسلام حقائق، فقال: إنّ ما يدعو إليه القرآن، وكلام نبي الأمة ﷺ من التعاليم، بأسمائها ومعانيها المرادة له أمور متميز بعضها من بعض، في الأمر والواقع نفسه.

(فالعقائد الإسلامية وشرائع الإسلام وقوانينه حقائق تدركها العقول، وطبقها على الخارج فتجدها مطابقة للواقع) وهي كلها تحوم حول تقويم المجتمع الإسلامي⁶³.

أما الإسلام فقد جاءت شرائعه بالحقيقة والدعوة إليها ونبذ الأوهام، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾⁶⁴، أي الثابت الصادق، الذي ليس له شائبة من باطل أو توهم، ولم يكن دعاء

الإسلام إلى الحقيقة ونبذ الأوهام مقتصرًا على جانب دون آخر.

وإذا كان الدين الإسلامي أفضل الأديان وعقائده، وشرائعه حقائق لا أوهام، فإن أي إصلاح - في نظر الشيخ ابن عاشور - لا يكتب له النجاح إلا إذا استند على الدين، وارتكز عليه، لأن الدين القويم كما ذكر الأئمة والحكماء أساس الرقي وانتشار العمران، أما إذا ابتعد الإصلاح عن هذا الخط، وانبنى على ما تزينه الأهواء، والاتجاهات المريية،

⁶² - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص163 .

⁶³ - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي

حسن ملكاوي، ص71/70.

⁶⁴ - سورة النمل، الآية: 79.

تجافى عن الحق والصدق، وفقد مع ذلك المعنى الديني الذي هو أساسه، ولم يجد بعد الدعامة لتجديد أمر هذه الأمة⁶⁵.

المطلب الثاني : أصول إصلاح الأفراد

يقول الشيخ: «أن المجتمع البشري أو الأمة عبارة عن مجموعة من الناس في كل ملتئم من أجزاء هي الأفراد، فلا جرم كان إصلاح المجتمع موقفاً بادی الأمر بإصلاح الأفراد فإذا صلحت حصل من مجموعتها الصالحة مجتمع يسوده الإصلاح»، فإصلاح الأفراد حجر الأساس لإصلاح المجتمع كما بيّن ذلك شيخ الإسلام⁶⁶.

1 - إصلاح الاعتقاد : منذ نشأة الإنسان وهو يبحث عن علّة وجوده وعن أسباب تكوينه فهو مسوق بفطرته، فالله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم قد أودع في فطرته قوة الفكر المصيب. وإصلاح الاعتقاد أمر بالغ الأهمية، بؤاه الشيخ المنزلة الأولى في بناء المجتمعات الإسلامية لأن الاعتقاد الصحيح يرتفع بالفرد عن الأوهام الضالة ويقيم البنية الاجتماعية للأمم على أسس متينة، وهو في هذا الرأي ينسجم مع كثير من المقولات التي تعطي الاعتقاد أهمية بالغة في حياة الإنسان.

2- إصلاح التفكير : فإصلاح التفكير من أهم ما قصده الشريعة الإسلامية في إقامة نظام الاجتماع عن طريق صلاح الأفراد، فاهتم القرآن باستدعاء العقول للنظر والتعقل والعلم، وإن الذهول عن الحقائق والخطأ في إدراكها من أكبر المصائب في العاجل والآجل .
وجماع القول فيها أن كل مأمور بصحة التفكير في دائرة ما يحتاجه من الأعمال تفكيراً يعصمه من الوقوع في مهاوى الأخطاء سواء أكان ذلك فيما يصدر عنه من الأعمال على اختلافها، والمقدار الذي يستطيعه من التفكير يجب عليه تصحيح تفكيره فيه، والمقدار الذي لا يستطيعه يجب عليه تصحيح تفكيره فيه وذلك بطلب الإعانة فيه بمن يبلغه إلى الحق الصحيح فيه من أهل الإرشاد في ذلك الباب⁶⁷، قال الله تعالى: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ

⁶⁵ - الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي حسن ملكاوي، ص71.

⁶⁶ - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص164 .

⁶⁷ - المرجع نفسه، ص165 .

لَا تَعْلَمُونَ⁶⁸. ويرى الطاهر بن عاشور أنّ نواحي إصلاح التفكير الواردة في الإسلام

ثمان نواح من أصول نجاح المرء والجماعة في المجتمع⁶⁹.

- التفكير في تلقي الشريعة - التفكير في تلقي العقيدة - التفكير في العبادة - التفكير
لتحصيل النجاة في الحياة الآخرة - الحزم - التفكير في المعاملة - التفكير في الأحوال
العامة للعالم .

- التفكير في مصادفة الحقيقة في العلوم⁷⁰.

3- إصلاح العمل : من أنظر القضايا التي تخص المجتمع الإسلامي هي صلاح العمل
وقد تناولها الشيخ من زاوية فلسفية وعبر الأديان والمذاهب، وذلك بأن هناك خطأ في
حقيقة مصدر الأعمال عن أصحابها من الأخطاء القديمة التي عرضت لأهل الأديان في
غابر الزمان وسرت أيضاً إلى المسلمين، والخطأ هو في حقيقة ترتب الثواب والعقاب عن
حال أهل الدين في امتثالهم لأوامره واجتنابه لنواهيه⁷¹.

ومرجع هذه الشعب إلى ثلاث مبادئ: مبدأ الجبر⁷²، مبدأ الاختيار⁷³، مبدأ التوسط بين
الجبر والاختيار .

وقسم ابن عاشور الأعمال بادئاً بالأعمال القلبية وهي قسم الأخلاق والضمائر وقد أشار
إليه قوله ﷺ: «التقوى هاهنا»⁷⁴ ويشير إلى صدره ثلاث مرات يعني القلب الذي يراد به
التفكير وإصلاح الضمائر يظهر في النهي عن الكبر والعجب والغضب والحقد والحسد
وفي الأمر بالإخلاص وحسن النية والإحسان والصبر وقد حلّ ابن عاشور هذه المعاني

68 - سورة النحل، الآية : 43

69 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص47.

70 - المرجع نفسه، ص 51 إلى 56 .

71 - المرجع نفسه، ص 59 .

72 - مبدأ الجبر : يعني أنّ كل أفعال العباد بقضاء الله وأن الإنسان مجبور على ما يصدر منه، ولذلك أبطلوا أدلة
الجزاء على الأعمال السيئة وجعلوا التواب فضلاً من الله وأبطلوا العقاب ، انظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام،
محمد الطاهر بن عاشور، ص 59 .

73 - مبدأ الاختيار المحض : وهم الذين نفوا القضاء والقدر ويسمون بالقدرية وجعلوا أفعال العباد مخلوقة لهم، وليس لله
تعالى عليها قدرة ولا له قضاء، وقدّر في ذلك تنزيهاً له عن تقدير الفساد وعن إقراره مع علمه، انظر: المرجع نفسه،
ص59.

74 - متفق عليه: رواه البخاري، كتاب البيوع، رقم (6066)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار
الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ/2000م، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودّمه،
وعرضه، وماله، رقم (2564).

تحليلاً معمقاً مشوقاً وكذلك فعل مع العوامل التي تعين على حسن العمل وحسن تسييره كالنظام، والتوقيت والدوام، والمبادرة والإتقان، وهي أدوية لما تعانيه مجتمعاتنا من أمراض اجتماعية تعوق النمو⁷⁵.

ثم صحح شيخنا المفاهيم الخاطئة التي علقت بأدبنا الإسلامي كمفهوم التوكل ومفهوم القضاء والقدر، هذه المفاهيم التي إذا ما فسرت على وجهها الأمثل كانت ذات أثر عظيم في نجاح الأعمال⁷⁶. وبين ابن عاشور أثار الوازع النفساني في الإصلاح الفردي والاجتماعي وأن الاعتقاد أصل هذا الوازع وجذر له وأساس لبنائه وضرب مثلاً بمجتمع مكة حيث كانت صورته الخاصة به في العبارات ونظام العائلة وآداب الاجتماع وأحوال المعاملات، وكان الوازع النفساني في تلك الأيام هو الذي يزعمهم عن تجاوز حدود الشريعة ولا سبيل إلى بلوغ هذه الأهداف إلا بالعلم الصالح النافع فاكتسابه يعد سبباً لإصلاح الفكر وصالح العمل ووسيلة لإصلاح الاعتقاد وتكملة لإيجاد الوازع النفساني⁷⁷.

4- مكانة المرأة في النظام الاجتماعي :

فقد عرج بن عاشور على أهمية المرأة ودورها ومكانتها في صلب النظام الاجتماعي الإسلامي دافعاً- في الوقت نفسه- كل الافتراءات التي سلكها حولها المغرضون والجاهلون بها، سارداً وضعها المهين السابق للإسلام ووضعها الكريم في ظل المبادئ الإسلامية الغراء⁷⁸.

ويرى الشيخ أن الإسلام لم يحسب في دعوته فارقاً شديداً بين الرجل والمرأة بل أمر النساء بمثل ما أمر به الرجال، يقول: كيف نعزل المرأة عن الإصلاح جانباً وهي أحد صنفَي البشر وهي متولية تربية الأبناء التي تكرر جذور الأخلاق فاضلها وسافلها، فبقاء المرأة منحة الفكر غارقة في الجهل يسلب منها الأهلية لتربية أولادها تربية كاملة

⁷⁵ - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص166 .

⁷⁶ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص75/76 .

⁷⁷ - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص166/167 .

⁷⁸ - مجلة آفاق الثقافة والتراث، أحمد عيسوي، ص97 .

ولسياسة بيتها على الوجه الأكمل، ويسلب الأمة الانتفاع بنصف كامل من البشر⁷⁹، أعلن الإسلام عن حقوق المرأة فقال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾⁸⁰.

كما جُمع في الأقوال التشريعية بين ذكر الرجال والنساء، قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁸¹.

هكذا يدعم الشيخ رأيه بالنصوص والأحكام الشرعية التي يبرز فيها رفع شأن المرأة ثم إن ملاك الأحكام التي تثبت فيها التفارقة بين الرجال والنساء هو الرجوع إلى حكم الفطرة. والفطرة هي الحكم الذي يميز بين الرجل والمرأة فتختص بواجبات دون الرجل لها ميزها الله به من الرحمة والحنو والرأفة. ويستقرئ بن عاشور النصوص الإسلامية ويدل من خلالها على منزلة المرأة الرفيعة في الإسلام وأنه كرمها وجعل الحياة الإنسانية متكاملة بين الرجل والمرأة، وكل ما تراه من انحراف هو تابع عن سوء فهم مكانة المرأة، بل في جوهر الدين تتبوأ المنزلة الرفيعة في المجتمع الإسلامي، وأن ما حصل لها من تخلف نتيجة ممارسة المسلمين وتوارثهم لعادات قبيحة فتراكم الأمر وعلق بالإسلام وهو منها براء⁸².

المطلب الثالث : أصول الإصلاح الاجتماعي

فالإسلام داع إلى إصلاح البشر من جميع النواحي هذا يتم بإصلاح الأفراد ثم بإصلاح مجموعة في حال اجتماعه، فالإصلاح الاجتماعي هو الغرض الأسمى لأنه به صلاح العالم⁸³.

1- إيجاد الجامعة الإسلامية : فالجامعة تعد الرباط الأوثق لتأسيس النظام الاجتماعي وهي أمر معنوي، فالإسلام رابطة تصغر أمامها كل الروابط، فدعوته لإتباعه ليكونوا أمة واحدة تجمعها وحدة الاعتقاد والتفكير والعمل الصالح، وأمر بدحض بقية الجوامع إذا

79 - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 167 .

80 - سورة البقرة، الآية : 228.

81 - سورة النحل، الآية : 97 .

82 - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 188.

83 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص 97 .

كانت مضادة لهذه الجامعة، قال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ﴾⁸⁴.

والجامعة الإسلامية هي دينية من جهة راجعة إلى الجانب العقلي المحض، بأن يدعوا إليها الدين وجاء لعامة البشر وباقي إلى منتهى العالم، ومن جهة أخرى فطرية لأنها تعود إلى الناحية الإنسانية المحضة ألا وهي فطرة البشر، لأن الاتحاد هو المبدأ الأول للبشر والاختلاف عارض من العوارض⁸⁵، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾⁸⁶.

2- الأخوة الإسلامية : فالإخوة هي أساس المجتمع الإسلامي، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾⁸⁷ وقال رسول الله ﷺ «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره بحسب امرئ من البشر أن يحقر أخاه المسلم»⁸⁸، والناس قد اعتادوا أن تكون جوامعهم محسوسة من نسب أو موطن، فرام الإسلام إبراز هذه الجامعة الدينية العقلية فجعلها أخوة دينية ليعزز جانبها بكونها مدركة بالعقل ومحسوسة فتحصل لها ته الجامعة قوتان⁸⁹.

3- مقومات النظام الاجتماعي في الإسلام: ويرى الشيخ أن مقومات النظام الاجتماعي في الاسلام تقوم على أصول عظيمة بها تقاس الأمم تقدماً وتأخراً.

3-1- الأخلاق: فالأمة لا ترى عقدها مأمونا من انفصامه ما لم تكن مكارم الأخلاق سائدة في معظم تصاريدها وأمورها، لأن ملاك مكارم الأخلاق وتركيب النفس الإنسانية، وهذه الغاية إبعاد تصرف نفس الإنسان عن همج الحيوان ولذلك ذم الله تعالى الذين لم

84 - سورة المجادلة، الآية : 22 .

85 - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 169 .

86 - سورة يونس، الآية : 19 .

87 - سورة الحجرات، الآية : 10 .

88 - أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، رقم (2442).

89 - من أعلام الزيتونة : شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 170 .

يَتَخَلَّقُوا بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ ⁹⁰ ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ⁹¹.

فإذا بلغت الأمة إلى غاية حلبة مكارم الأخلاق في تصارييفها وأمورها، زكت نفوسها وأثمرت غروسها فحينئذ يسود فيها الأمن وصالح العمل في جميع أحواله ⁹²، ولا جرم كان مراده تعالى أن يتسم المسلمون بميسم مكارم الأخلاق لتكون أقوالهم وأفعالهم وسيلة إلى قبول دعوته لدى غير المسلمين كقدوة صالحة، قال الله تعالى مخاطباً رسوله صاحب الدعوة ومنها لدعاة أمته ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ⁹³. وجعل الإسلام الاتصاف بمكارم الأخلاق حقاً على الولاية والرعايا كل فيما يخصه من الأفعال المتعلقة بالإسلام أو بمعاشرة المسلمين أو بغير المسلمين من الأمم أو بالتصرف مع الحيوان المسخر للبشر، والإسلام هو مكارم الأخلاق، فبدوره يعود إلى التقوى ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ⁹⁴. ويؤيد هذا المعنى ⁹⁵ قوله ﷺ "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" ⁹⁶.

3-2- المساواة : وأما الأصل الثاني فهو يركز على المساواة والحرية وضبط الحق والعدل ونظام أموال الأمة، والاعتدال والسماحة، وصيانة نشأة الأمة من النقائص، والتسامح، والوفاء بالعهد ونشر مزايا الإسلام وحقائقه وتعميمه على سائر البشر ⁹⁷. وقد ذكر ابن عاشور أن المساواة الإسلامية الناشئة عن الأخوة ليس المراد منها التساوي في منتجات العقول أو في مآثر العمل ولكن يراد منها تساوي المسلمين في الانتساب إلى المجتمع الإسلامي. والمساواة التي سعت إليها الشريعة الإسلامية مساواة مفيدة بأحوال

90 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص 116.

91 - سورة الفرقان، الآية: 44.

92 - ينظر : أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص 117.

93 - سورة النحل، الآية: 125.

94 - سورة الحجرات، الآية : 13 .

95 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، شيخ الطاهر بن عاشور، ص 119.

96 - الموطأ، مالك بن أنس، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط4، 1414هـ/1884م، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، رقم (08).

97 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، شيخ الطاهر بن عاشور، ص 135 .

وليست مطلقة لأن أصل خلقه البشر جاءت على التفاوت في المواهب والأخلاق وذلك التفاوت يؤثر تمايزاً بين أصحابه⁹⁸، ويعمق الشيخ هذا الأصل بتحليل تاريخي لهذا المبدأ عند الأمم التي سادت الأرض قبل الإسلام، الفرس واليونان والروم إذ جعلوا الأمة أربعة طبقات سادة وأوساطا وسفلة وعبيدا وكل طبقة لها مزايا لا تشاركهم فيها طبقة أخرى برغم ما يبلغونه من الكفاءة لمزاحمة أهلها فيها⁹⁹.

3-3- الحرية : لقد غاص ابن عاشور في تحليل أصل الحرية، فلم تعرف اللغة العربية هذا الأصل بالمعنى الشائع يفيد معنى مضاداً لمعنى الرق والعبودية، فالحر من ليس بعبد وهذا اللفظ الحرية. فلفظ الحرية لفظ حديث استعمله المولدون على وجه المجاز فشاع شيوعاً بين الناطقين بالعربية، ولأسيما بعدما تنوسيت أحوال الرق منذ القرن الماضي، فكاد يضمحل إطلاق اسم الحرية على معناه الحقيقي¹⁰⁰.

ثم يبسط الشيخ ابن عاشور القول في تاريخ الحرية فيرى أنها وصف فطري نشأ عليه البشر وبه تصرفوا في أول وجوده على الأرض حتى حدثت بينهم المزاحمة فحدث التحجر¹⁰¹.

وقد قسم الشيخ الحرية إلى حرية اعتقاد، وحرية تفكير، وحرية قول، وحرية فعل، وكل هذه الحريات الأربع محدودة في نظام الاجتماع الإسلامي بما حددت به شريعة الإسلام أعمال الأمة الإسلامية في تصرفاتهم الفردية والجماعية وفي داخل البلاد ومع الأمم المجاورة والمتعاملة من جلب مصلحة المسلمين ودرء المفسدة عنهم¹⁰².

3-4- العدل : يفتتح الشيخ حديثه عن العدل بقوله : أرني في غنى عن الإطناب في مكانة العدل من أصول النظام الاجتماعي في الإسلام فحسب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

98 - المرجع نفسه، ص 135/136 .

99 - المرجع نفسه، ص 139 .

100 - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، شيخ الطاهر بن عاشور، ص 150

101 - المرجع نفسه، ص 135 .

102 - المرجع نفسه، ص 160 .

بِالْعَدْلِ¹⁰³ مؤكداً هذا الخبر التشريعي بحرف "إن" ومفتتحاً باسم الجلالة الذي يلقي

الحرمة على هذا الخبر ويُقوى دواعي الأمة لتلقيه والعمل به.

ثم قدم الشيخ لمحة تاريخية عن العدل فهو مما تواطأت على حسنه الشرائع الإلهية والعقول الحكيمة، وتمدح بإدعاء القيام به عظماء الأمم، وسجلوا تمدحهم على نقوش الهياكل من مصرية وهندية وغيرها...، واتفقت الشرائع والحكماء على التنويه بالعدل وأهميته يقول أرسطو¹⁰⁴ «العدل مألوف به صلاح العالم»¹⁰⁵ ويقدم الشيخ ضبطاً دقيقاً لمعاني العدل من خلال الشرائع وأثار الحضارات، وأقوال الحكماء والفلاسفة ثم يشرح ذلك بآيات العدل والأحاديث الواردة في مدحه والقُدوة الحسنة من خلال سلوك أصحاب رسول الله ﷺ والخلفاء رضوان الله عليهم¹⁰⁶.

3-5- مال الأمة : يستهل الشيخ كلامه بقوله : مال الأمة كل ما به تستغني الناس في

تحصيل ما ينفعهم، في معاشهم ويتألف مال الأمة الإسلامية من نوعين:

أحدهما : مال كل فرد من أفراد الأمة ، والثاني : مال جعلته الشريعة مرصداً لعموم جماعة المسلمين وهو حق للجماعة على الإجمال ويتولى ولي الجماعة إبلاغ منفعه من لا يستطيع إقامة شؤونه من ماله¹⁰⁷ ، وهذا النوع من المال سمي مال الله لأنه ليس له مالك معين فهو لمن يجعل الله فيه حقاً، وقد تحدث الشيخ ابن عاشور عن توفير المال للأمة حفظه بالاقتصاد، لتكون الأمة في غنى عن طلب الإسعاف من غيرها عند حاجتها، وقد عرفه الشيخ بأنه اسم للعلم الذي يبحث فيه عن وسائل توفير المال الدائر في الأمة بأحسن ما يستطيع، لئلا تكون الأمة أو بعضها في خصاصة عيش¹⁰⁸ ،

¹⁰³ - سورة النحل، الآية : 90 .

¹⁰⁴ - أرسطو : ولد أرسطو في بلدة ستاغيرا stagira، في مكدونيا عام 384 ق.م، أعد أرسطو ليكون طبيباً ، كما كان لديه اهتمامات في علم الأحياء، أرسل إلى أثينا حيث بقي على اتصال بأكاديمية أفلاطون لمدة عشرين عاماً، أنشأ مدرسة عرفت باللسيوم Isceum ، انظر: النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو، عيد الدحيات، دار الفارس للنشر والتوزيع ط1، 2007م ، ص38.

¹⁰⁵ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص174.

¹⁰⁶ - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 175 .

¹⁰⁷ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص179.

¹⁰⁸ - المرجع نفسه، ص186 .

كما تحدث عن وسائل توفير الثروة بالتدبير والعمل والمادة¹⁰⁹.

3-6- الحكومة والدولة الإسلامية: يختم الشيخ ابن عاشور كتابه أصول النظام الاجتماعي في الإسلام بالحديث عن الحكومة الدولة الإسلامية وكان ذلك لما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة ظهر وعد الله بالخلاص من فتنة أعداء الدين، فالتأمت للمسلمين جماعة قوية وأوتهم مدينة حصينة. هناك صار الإسلام جامعة وشرعية وتقومت للمسلمين حكومة دستورها القرآن وحاكمها النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾¹¹⁰.

فإقامة الحكومة عامة وخاصة للمسلمين أصل من أصول التشريع الإسلامي، اثبت ذلك بدلائل كثيرة من الكتاب والسنة بلغت مبلغ التواتر المعنوي، مما دعا الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ إلى الإسراع بالتجمع والتفاوض لإقامة خلف عن الرسول في رعاية الأمة الإسلامية¹¹¹.

ولم يختلف المسلمون بعد ذلك في وجوب إقامة الخليفة إلا شذوذاً لا يعبا بهم من بعض الخوارج¹¹² وبعض المعتزلة¹¹³ نقضوا الإجماع فلم تلفت لهم الأبصار ولم تصغ لهم الأسماع. ولمكانة الخلافة في أصول الشريعة ألحقها علماء أصول الدين في مسائله

¹⁰⁹ - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 175-176.

¹¹⁰ - سورة المائدة، الآية: 49-50.

¹¹¹ - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 176.

¹¹² - الخوارج: يسمى خارجياً كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة أو اختارته الأمة، والخوارج تكفر علياً وعثماناً وأصحاب الجمل، والحكمين ومن صوبهما أو صوب أحدهما أو رضي بالتحكيم، وتكفير كل من ارتكب كبيرة، ووجوب الخروج عن السلطان الجائر. ينظر: الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم (عقائد الفرق الإسلامية وأراء كبار أعلامها)، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، مكتبة بن سينا للنشر والتوزيع، ت: محمد عثمان الخشت، ص 72/73.

¹¹³ - المعتزلة: هم أتباع واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، سمو بهذا الاسم لاعتزالهم الجماعة في مسألة مرتكب الكبيرة، أو لاعتزال مجلس الحسن البصري حين شذ واصل برأيه في هذه المسألة، وقد استكمل المذهب أصوله البدعية على يد أبي الهذيل العلاف، وقام على أصول خمسة: التوحيد (وضمنوه نفي الصفات)، والعدل (و أرادوا به نفي القدر)، والمنزلة بين المنزلتين (وهو قولهم بأن مرتكب الكبيرة لا مسلم ولا كافر)، وإنفاذ الوعيد (وهو حكمهم على صاحب الكبيرة بالخلود في النار)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (وضمنوه القول بالخروج على ولاة الأمر إذا جاروا). ينظر: مقدمة في الملل والنحل، ناصر بن عبد الله القفاري، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط 1، 1427 هـ/2006 م، ص 68.

فكان من أبوابه باب الإمامة، فقد عرفها بن عاشور فقال: « الخلافة الإسلامية وتسمى الإمامة هي خلافة شخص للرسول ﷺ في إقامة الشرع وحفظ الملة على وجه يوجب إتباعه على كافة المسلمين » وهذا التعريف كما عرفه الماوردي¹¹⁴ وغيره من علماء الإسلام¹¹⁵.

وقامت الحكومة الإسلامية بعد رسول الله على أجمل وجهها، وإن افترى المفترون فكانت حكومة أمتها أمة واحدة هي أمة الإسلام، كلها لا تتحدد بمكان ولا بنسب ولا بقبيلة ولا موطن ولا مدينة، إنما حدودها ما يبلغ إليه الاعتقاد الإسلامي حيثما كان لأن حدود الدين معان عقلية روحية، وغيره من الحدود حدود مادية.

- مصطلحات سياسية حديثة في تفكير الشيخ ابن عاشور:

وردت مصطلحات سياسية حديثة في تفكير الشيخ كالانتخاب والديمقراطية والجمهورية، يقول الشيخ: « إن طريقة انتخاب الناس نوابا عنهم للدفاع عن مصالحهم وإبلاغ طلباتهم إلى ولاية الأمور أفضل الطرق، وأضمنها للتعبير عن إرادة الأمة »¹¹⁶ ويقول أيضاً « أما تصرف الخليفة أو ولي أمر المسلمين بعد انتخابه وبيعته فهو مفوض إليه أن يتصرف بما يراه مصلحة للأمة وحفظها للدين... وأن يستشير ويستعين بمن يختارهم من قضاة وأمرأء... » وصفة هذه الولاية أشبه شيء في متعارف عصرنا هذا برئاسة الجمهورية (وهي الجمهورية التي يكون رئيسها رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة) فالشيخ قارن الانتخاب بالبيعة وسلطة الخليفة بالنظام الرئاسي¹¹⁷.

ولما كان تولي الأمة جميعها الحكم متعذراً تعين أن يكون حكمها نفسها أن تُنصَّبَ من يتولى الحكم فيها برضى منها واختيار، ولما كان اتفاق جميع الأمة عسيراً في الغالب تعين أن يكتفي باتفاق ورضى جمهور الأمة، فلذلك كانت الديمقراطية ملازمة للجمهورية فلا كون حاكم الأمة في الحكومة الديمقراطية إلا من اختاره جمهور الأمة ليكون حاكمها¹¹⁸.

¹¹⁴ - أبو الحسن الماوردي (ت450هـ/1058)، فقيه شافعي من الكبار، ولد بالبصرة، تولى القضاء في أيام القائم العباسي ببغداد، مال إلى المعتزلة، من كتبه (أدب الدين والدنيا) و (الأحكام السلطانية) في السياسية المدنية الشرعية، (أعلام النبوة)، (الحاوي) في الفقه، ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهنائي الأزوي، ص518.

¹¹⁵ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص194/195.

¹¹⁶ - من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص177.

¹¹⁷ - ينظر: المرجع نفسه، ص178-179.

¹¹⁸ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، ص201.

المبحث الثالث: منهج ابن عاشور الإصلاحي في مجال

التربية والتعليم

المطلب الأول: الفكر التربوي عند ابن عاشور

المطلب الثاني: أسباب تأخر التعليم الزيتوني

المطلب الثالث: حال التعليم في عصر الشيخ

تمهيد:

الفكر التربوي عند ابن عاشور يصدر أساساً عن أدبيات الفكر التربوي في الإسلام وهو يكتسي أهمية بالغة لأنه يصور فترة حاسمة في تاريخ الفكر التربوي الإسلامي وخاصة في تونس، والشيخ يعتقد أن الإصلاح التربوي أساس كل إصلاح، فهو سبب إلى الإصلاح العقائدي واللغوي والاجتماعي والاقتصادي... وامتلك الشيخ رؤية تعليمية شمولية، تمثلت في صياغة تجديدية للبرامج التعليمية، تتصف بالثورة عن المألوف، مثلما جهوده في الإصلاح الأخرى: الفكري، السياسي، الاجتماعي، الاقتصادي، وقد زاول الإصلاح التعليمي مُتعلِّماً ومُعلِّماً، فعاش تجربته من الداخل، وكانت له نظرة ناقدة لأحوال العلوم الإسلامية وطرق تعليمها وأسباب النهوض والانحطاط التي مرت بها في مختلف الأزمان¹¹⁹.

المطلب الأول: الفكر التربوي عند ابن عاشور

يستهل الشيخ كتابه ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾¹²⁰، بقوله: "قد كان حداً بي حادي الآمال، وأملِي عليّ ضميري من عام 1321هـ للتفكير في طرق إصلاح تعليمنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلماً ومعلماً بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق، فعقد عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابها"¹²¹. والفكر التربوي عند ابن عاشور يصدر أساساً عن أدبيات الفكر التربوي في الإسلام، فنحن في أشدّ الاحتياج إلى العلم بوجوه استقامة الأشخاص وهي المراد من التعليم ليكون المتعلم بذلك راضياً عن نفسه، واثقاً بحصول مبتغاه من علمه؛ ناهيك بما يجده المتعلم إن بلغ حداً أن يكون معلماً من الابتهاج بما يبين للمتعلمين من الحقائق، وما يعالجه من إنشاء أمة مستقلة. لأجل هذا كان ومن واجب كل داع إلى التعليم أن يوضح لطالبيه الغايات التي يحصلونها من مزاوله التعليم سواء كانت غاية دنيوية أو أخروية¹²². ووراء هاتين الغايتين أسمى وأعظم مما

¹¹⁹ - ينظر: من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 183. وينظر أيضاً إلى: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر، رؤية معرفية ومنهجية، فتحي حسن ملكاوي، ص 641.

¹²⁰ - وقد عنوانه بجزء من آية قرآنية، سورة هود، الآية: 81.

¹²¹ - أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1427هـ - 2006م، ص 07.

¹²² - المرجع السابق، ص 09.

يبدوا منها وهي إنتاج قادة للأمة، في دينها ودنياها ومصابيح إرشادها ومحاصد قتادها. وقد كان صلاح التعليم من مميزات الأمم فبحسب ارتقاء عاداتهم ولغاتهم يكون التفاضل، وقد وصف أفلاطون¹²³ التعليم الصحيح فقال: "هو موسيقى النفس ورياضة البدن وإن حسن السلوك فرغ منه والشعر أساسه وإن يكن الشعراء لا يصلحون للتعليم والتهديب"¹²⁴. وقد امتاز الشيخ بفكر إصلاحي شمل شؤون المسلمين عامة ولكنه امتاز بعمقه في ميدان التربية والتعليم؛ لأنه يعتقد أن الإصلاح التربوي أساس كل إصلاح، فهو سبب إلى الإصلاح العقائدي واللغوي والاجتماعي والاقتصادي، وقد أحاطت بفكره عوامل أحدثت أثرها في برنامجه الإصلاحي منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي.

أولاً: أثر العوامل الداخلية

1- المدرسة العسكرية : تعتبر الحركة الإصلاحية في تونس من الحركات الرائدة في مجال الإصلاح، فضلاً عن الانبهار الذي عاد به المشير أحمد باي¹²⁵ إثر زيارته إلى فرنسا التي شاهد فيها استعراضات عسكرية وعظمة جيش فرنسا وقوة أسطولها في ميناء طولون بفرنسا، عاد المشير وفي فكره المثل القائل: " أكلت اليوم أكل الثور الأبيض"، فهذه القوة العتيدة التي شاهدها قد احتلت الجزائر تؤذن باحتلال تونس، لذلك اتجه إلى محاولة إصلاحية فأنشأ المدرسة الحربية 05مارس 1840، وعهد بالإشراف عليها إلى أساتذة فرنسيين وإيطاليين وبريطانيين وتونسيين من أشهرهم الشاعر محمود قبادو¹²⁶.

¹²³ - أفلاطون: ولد عام 427 ق.م لأبوين من أسرة يونانية عريقة تلقى تعليمًا يركز على القراءة والكتابة والشعر منذ طفولته، التقى الفيلسوف سقراط وهو في سنّ الشباب ونشأت بينهما علاقة حميمة بينهما، وكان إعدام سقراط نقطة تحول في حياته بتخليه عن السياسة، ينظر: النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو، عيد الدحيات، ص 25.

¹²⁴ - أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 10-09.

¹²⁵ - أحمد باي: (1272-1253هـ) (1837-1851م)، أمير تونس، وأحد أفراد الأسرة الحسينية، رأى بأن تكون الدولة قائمة بنفسها، فكان من بين التدابير العديدة التي اتخذها: تشجيع التعليم، إبطال الرّق، تنظيم التعليم في الزيتونة، ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، إيد خالط الطباع، ص 15.

¹²⁶ - محمد قبادو (1812-1871م): ولد في تونس وتلقى تعليمه الأول في مدارسها المعروفة، لكنه كان ينكب على كتب التصوف، درس في جامع الزيتونة، وكانت رحلته إلى تركيا أثر مهم في تفكيره حيث انصرف إلى العلوم الرياضية ودعا إلى الاهتمام بها، ويعتبر محمد قبادو من سادة القلم شعر ونثر- في تونس في أواسط القرن التاسع عشر، فهو كان واحداً من قادة الحركة الإصلاحية بتونس، ينظر: <http://www.alhakawati.net/arabicarabperslit7.asp>.

وكانت مدرسة رغم صبغتها العسكرية تعليمية اشتملت على العلوم العصرية، بيد أن هذه المدرسة الحربية لم تحقق أهدافها ولكنها تركت أثراً هاماً في الحياة الفكرية التونسية في تلك الفترة¹²⁷.

2- تأسيس المكتبة الأحمدية : فقد تم إنشاء المكتبة الأحمدية في رمضان 1256هـ — وكانت تابعة لجامع الزيتونة، وصارت ثرية بمصادرهما ومراجعتها¹²⁸.

3- إصلاح التعليم الزيتوني قبل إصلاح ابن عاشور: حاول المشير أحمد باي تنظيم التعليم الزيتوني بإصدار منشوره الشهير في نوفمبر 1842م الموافق لـ 27 رمضان 1258هـ، وذكر في هذا المنشور جريات كافية للمشائخ، وعين لكل واحد منهم أن يقرئ درسين في اليوم . وهكذا تظهر بوادر التدعيم والإصلاح لهذه المؤسسة العريقة الزيتونية فهي تدعم بمكتبة علمية وتنظم الدراسة فيها بالقوانين التي تضبط سير المؤسسة، وأصدر خير الدين باشا¹²⁹ أوامر مؤرخه في 26 ديسمبر 1875م وفي 22 جانفي 1876 وفي 12 جويلية 1878م لإصلاح التعليم الزيتوني وتنظيم الدراسة، وبذلك دخلت فكرة الإصلاح وتجديد الهيكل الزيتوني. كما اهتم الوزير خير الدين بالتعليم الابتدائي فأعاد تنظيم المدارس القرآنية، والمدارس التي كانت تُعد التلاميذ للالتحاق بالتعليم الزيتوني، كما أصدر قانوناً يقضي بتأسيس المكتبة العبلدية، وهي تابعة لجامع الزيتونة وكانت العبلدية آنذاك المكتبة العمومية الوحيدة ذات الطابع الحديث¹³⁰.

4- الصادقية والخلدونية : تأسست المدرسة الصادقية في فيفري سنة 1875م وهي حدث هام في تاريخ التعليم بتونس، تمثل منهجاً متطوراً امتزجت فيه علوم العربية باللغات الأجنبية والتحق طلبتها بالجامعات الأوروبية وعادوا بروح إصلاحية، وتأسست الجمعية الخلدونية سنة 1314هـ الموافق لـ 1896م، وهي جمعية علمية تهتم بتكميل ما يحتاج

¹²⁷ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 183.

¹²⁸ — المرجع نفسه، ص 184.

¹²⁹ - خير الدين: ولد سنة 1820م في قرية بجبال القوقاز، توفي والده في إحدى الوقائع العثمانية ضد روسيا، فأسر وهو طفل على اثر غارة، ثم بيع في سوق العبيد بإسطنبول، وانتهى به المطاف إلى قصر أحمد باشا باي وهو في السابعة عشر من عمره سنة 1837م، وأصبح مملوكاً له وحرص على تربيته وتعليمه. إذ تلقى تربية دينية وعصرية معاً، وتعلم اللغة الفرنسية، وعندما أنهى دراسته، دخل الجيش حيث أكسبته مواهبه عطف أحمد باي فعهد إليه بإدارة المدرسة العسكرية فترة من الزمن ينظر: http://www.alarabicclub.org/?p_name=phmous_details&id=286.

¹³⁰ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 184—185.

إليه مزاولوا العلوم الإسلامية من العلوم التي لم تتدرج في برامج تعليمهم أو اندرجت فيها ولم تتوجه إلى مزاولتها عناية الطلبة فآلت إلى الإهمال. وبدأ التفكير في إصلاح نظام التعليم في هذه المؤسسة العريقة وكان الشيخ ابن عاشور— من مسيري هذه الجمعية — من عوامل نشاطها.

ثانياً: أثر العوامل الخارجية

1- أثر المنهج التربوي لمحمد عبده¹³¹ على فكر ابن عاشور: وكانت زيارة محمد عبده إلى تونس التي وجد فيها نخبة إصلاحية لها نفس منهجه التربوي الاجتماعي في الإصلاح فتعهد ببث أفكاره الإصلاحية، وتوطدت علاقته مع الشيخ الطاهر بن عاشور، ولقبه "بمفسر الدعوة" وكان الشيخ معجباً بأراء الأستاذ الإمام وبنقده للعلوم الإسلامية وبتجديده فيها كما فعل في "رسالة التوحيد وغيرها"¹³².

2- أثر الفكر التربوي الحديث في العالم الإسلامي: أحدث الفكر التربوي الحديث ثورة في ميدان التربية والتعليم كان لها حداها في البلدان الإسلامية وخاصة في جامعتي الأزهر والزيتونة، ففي مصر أرسى محمد علي باشا¹³³ قواعد تعليم مدرسي حديث، وناصر المفكرون هذا الاتجاه أمثال رفعة الطهطاوي (ت1873) في رسالته "المرشد الأمين للبنات والبنين"، وتعالّت أصوات المصلحين بضرورة إصلاح التعليم في الجامع الأزهر، وكان الشيخ بن عاشور على صلة وثيقة بما ينشر في مجلة "المنار" حول التعليم في الأزهر وبما ينشر من آراء خاصة لمحمد عبده وغيرها تحاول إصلاح حال التعليم في الأزهر

¹³¹ — محمد عبده: ولد بجوار طنطا في أواخر سنة 1265هـ، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم بفنون التجويد سنة 1279هـ، كان رائد (الخدمة الاجتماعية) في وطنه، فارق الحياة في نحو السادسة والخمسون أسس مع أستاذه جمال الدين الأفغاني صحيفة (العروة الوثقى)، توفي 11 يوليو 1905م — 7 جمادى الأولى 1323هـ، ينظر: أعلام العرب عبقرى الإصلاح والتعليم، للأستاذ الإمام محمد عبده، عباس محمود العقاد، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، ط2، (دس)، ص83-85.

¹³² — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، بلقاسم غالي، ص185-187.

133 — محمد علي باشا (1769-1849م): ولد باليونان، وقيل إن أصل أبيه من الأكراد، قدم إلى مصر سنة 1214هـ بقيادة الجيش العثماني لطرده الفرنسيين من مصر، ورقى محمد علي بسرعة حتى أصبح قائد أكبر جيش في مصر، ينظر: <http://www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=19418>

ووضعه في أفق التقدم. هذه العوامل الداخلية والخارجية الغنية والمتنوعة قد أحدثت آثارها في الفكر التربوي للشيخ بن عاشور¹³⁴.

المطلب الثاني: أسباب تأخر التعليم الزيتوني

إنّ المصلح كالطبيب لا يكون دواؤه شافياً إلا إذا شخّص العلة وعرف أسبابها، فكذلك المصلح لا يكون إصلاحه ناجحاً إلا إذا عرف مواطن الخلل وأسبابها، ذلك ما فعله الشيخ ابن عاشور عند قيامه بمشروعه التربوي درس أسباب تأخر التعليم الزيتوني ووصف الإصلاح¹³⁵، وقد فحص الشيخ أسباب تأخر التعليم وقد حددها الشيخ كما يلي:

السبب الأول: إن العلوم والتعليم لم يسمح لهما الزمان منذ القدم بوضع مراقبة تميز الصالح من غيره، فمن الواجب تكليف عقلاء القوم وحكمائهم على وضع خطة تربوية محكمة، ومن الضروري أن الذي يتولى أمر نقد التعليم عارفاً بحاجات الزمان وغايات العلوم، خبيراً بما أصاب مزاج التعليم من العلل وبأنواع أدويتها¹³⁶.

السبب الثاني: إهمال الضبط، فإننا إذا تتبعنا حال التعليم وجدناه اختياري في سائر أحواله فالمتعلم يتعلم باختياره والمدرس يقرر ما يختار من المسائل والمؤلف يصطلح على ما يشاء من العلوم¹³⁷.

وبذلك كان التعليم في سائر عصرنا اختياريًا وغير مضبوط ولا متّحد بطريقة واحدة، ومن المبادئ لضبط التعليم أربعة أمور:

- 1- جعله إلزامياً: فمن حق نصيحة الحكومات للرعايا في حال عدم وصوله للرشد، وحملهم على مصالحهم بالجبر ما داموا في طور الطفولة.
- 2- ضبط أوقات المدرسين: فهو السياج الوحيد لدفع التداخل بين أوقات الدروس.
- 3- ضبط محل التعليم: ويعني مزاولة دروسهم في أماكن مغلقة بعيدة عن الاختلاط لاستيفاء توجه أفكارهم للعلوم دون غيرها.

¹³⁴ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 187 .

¹³⁵ — المرجع نفسه، ص 188 .

¹³⁶ — أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 101، بتصرف .

¹³⁷ — المرجع نفسه، ص 105 .

4- تقسيم التلامذة على العلوم والدروس: ويعني تخصيص كل مدرس بطائفة منهم تناسب حالتهم العلمية¹³⁸.

السبب الثالث: عُرُو¹³⁹ التعليم عن مادة الأدب وتهذيب الأخلاق، وهو سبب انحطاط المسلمين، وقد ذكر الشيخ في هذا الأمر " والواجب من حيث خطتنا التي نريد أن تسير فيها أبنائنا وتلامذتنا هو التدريب على ضروب الحكمة ونقد مقتضيات الزمان وعلو الهمة، والغيرة للحق عنه ".
هذه الأسباب العامة لتأخير التعليم، وهناك أسباب بما تخص جهات دون أخرى يريد الشيخ أن يوضحها خصوصاً ما هو أشد تعليقاً بتونس ومجاورها .

السبب الرابع: سلب العلوم والتعليم حرية النقد الصحيح في المرتبة العالية، وما يقرب منها والتعليم هو إيصال العقول إلى درجة الابتكار والابتكار هو أن يصير الفكر متهيئاً¹⁴⁰ لأن يبتكر المسائل ويوسع المعلومات كما ابتكرها الذين من قبله، فيتقدم العلم وأساليبه، ولا يكون ذلك إلا بإحداث قوة حاكمة في الفكر تميز الصحيح من العليل. ويرى الشيخ أنه لا يقع النقد إلا في الدروس العالية، أما التلامذة المبتدئون والمتوسطون فإنه يلقي إليهم القواعد، وما كان من رأي فيه نظر يتّفق. ويُعطى إليهم دون إشعارهم بالخلل الذي كان فيه¹⁴¹.

السبب الخامس: الغفلة عن إعطاء كل مرتبة من مراتب التعليم ما تحتاجه من الأسلوب اللائق بها والنافع فيها مما له أثر في تقويم الفكر، ففي المرحلة الابتدائية يطالب التلميذ باستظهار المهم، ويلقي عليه ماله أثر علمي، وأن يكلف بتحريرات يظهر فيها أثر معرفته، وفي المرتبة المتوسطة يصير التعليم رامياً إلى تقوية التفكير والجمع والتحليل، وفي

¹³⁸ — ينظر: المرجع السابق، ص 105—106 — 107.

¹³⁹ — عرو: تباعد عنه ولم ينصره، فيتركه، ينظر: http://home.php?language=arabic&word_www.almaany.com.

¹⁴⁰ — المرجع السابق، ص 108—109 .

¹⁴¹ — أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحيّة، محمد الطاهر بن عاشور، ص 109—111. بتصرف .

المرتبة العليا يصير التعليم يرمى إلى الاستنتاج والنقد، وفى كل تلك المراتب لا تكون العناية إلا ببواب من العلم لا بل الألفاظ والقشور¹⁴².

السبب السادس: إهمال التمرين والعمل بالمعلومات كما هو الغاية فى كل علم ولهذا نرى فى الجامع بتونس وفى كثير من بلاد الإسلام علوم تدرس وكتب تكتب، ولا نرى فى من نحادث أو نجالس فسيح لسان أو بليغ بيان.

السبب السابع: عروء من ملاحظة المصالح الصحيحة، فالإنسان خلق ليعلم ويعمل فالعلم بالعقل والعمل بالبدن، وهما متكافئان فى وجوب التحفظ عليهما¹⁴³.

السبب الثامن : عدم تقارب التلامذة الوافدين إلى التعليم بجامع الزيتونة، فمنهم من يرد حافظ القرآن وبعض المتون قادر على القراءة والكتابة، ومنهم من يفد على حالة دون ذلك ومنهم من لا يحسن قراءة ولا كتابة ولا يحفظ القرآن، ولذلك يكونون متفاوتين تفاوتاً بيناً فى الأهلية لتلقى الدروس، وهذا من أسباب عدم ظهور نتائج مقاربة من متخرجي الجامعة، والواجب لإصلاح هذا الخلل العظيم تنظيم تعليم الابتدائي قبل تعليم الجامع الأعظم .

السبب التاسع: دروس التطوع، ويعني بها الشيخ ما يلقيه المدرسون الرسميون — أصحاب شهادة التطوع — زيادة على الدروس المخصصة لهم. وذكر الشيخ أن الفساد فى هذه الدروس من جانبين أحدهما: عدم انضباطهم فى ملازمة التدريس، وقد شعرت النظارة بذلك الخلل فابتكرت طريقة تخيلتها علاجاً وهي إعطاء المواظب على الإقراء من المتطوعين، حصة كاملة أى سهم كامل وإعطاء غير المواظب نصف حصة¹⁴⁴.
وثانيهما: أن حبّ تقليل المصاريف مع صورة تكثير للدروس مع عدم كلفة الأجر عليها أوجب التساهل فى قبول المتطوعين للتدريس بأكثر مما يحتاج التعليم والغرض عن قاصرهم، فنشأت عنهم طبقات قاصرة من التلامذة.

السبب العاشر: التزام عدد مخصوص من المذهبين المالكي والحنفي كما اقتضى ترتيب أحمد باشا حين أسس ثلاثين مدرساً نصفهم مالكية ونصفهم حنفية، وذلك للتسوية بين

¹⁴² — أليس الصبح بقريب التعليم العربى الإسلامى دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 111-112 .

¹⁴³ — المرجع نفسه، ص 112-113 .

¹⁴⁴ — المرجع نفسه، ص 114 .

المذهبيين ويطعن الشيخ في هاتئ التسوية فيقول: " فالله يعلم أنني بريء من ذلك وإنما أرى ذلك فساد وخيم...وهو أن انتخاب المدرسين ما هو انتخاب كسائر الانتخابات, أي أختار الأحسن من صنف المخصوص " أي أهلا لهذه المهمة¹⁴⁵.

السبب الحادي عشر: تفكير التلامذة منذ الابتداء لتحصيل الشهادة من غير تفكير في الأهم من ذلك وهو الكمال العلمي وهذا بسبب ما تحشى به عقولهم من أحاديث من أوليائهم المرغبة في الوظائف الدولية¹⁴⁶, وهذا النقص من الأمراض التي قتلت الهمة العلمية في طلبتنا وجعلهم يحرصون على نيل الشهادة طلباً للوظائف, فغاب التجديد في العلوم والابتكار في المسائل, وتقاعست¹⁴⁷ الهمم¹⁴⁸.

السبب الثاني عشر: ضعف الملكات اللسانية أي القصور في اللغة, وهذه راجعة إلى إغراء التعليم عن العمل لأن علم اللغة واستعمالها أشبه أن يكون مفقوداً بين التلاميذ, وأكبر خلل أن العالم الإسلامي لا يحسن التعبير بكلام عربي فصيح. ولاشك أن طريقة التدريس الإملائي بالجامع من شأنها أن يتعود التلامذة على النطق بالعربية حيث لا يقبل التكلم مع شيوخهم بغيرها¹⁴⁹.

السبب الثالث عشر: عرو التعليم عما يفيد التلامذة إطلاعاً على أحوال الأمم الماضية والتاريخ الإسلامي, وترجم رجاله, وتاريخ الأمم المعاصرة وتاريخ الحضارة بحيث نجد متخرجي الجامع لا يعرفون من أحوال العالم شيء¹⁵⁰.

¹⁴⁵ — أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية, محمد الطاهر بن عاشور,, ص115-116 .

¹⁴⁶ — المرجع نفسه, ص117 .

¹⁴⁷ — تقاعس: تقاعسا عن الأمر: أي تأخر عنه, رائد الطلاب المصور, جبران مسعود, ص246.

¹⁴⁸ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره, بلقاسم غالي, ص195 .

¹⁴⁹ — أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية, محمد الطاهر بن عاشور, ص117-118 .

¹⁵⁰ — المرجع نفسه, ص131-132 .

المطلب الثالث : حال التعليم في عصر الشيخ

1- حال النظام في الجامع الأعظم : فحالة التعليم في الجامع كانت تجري على طريقة شبيهة بالاختيارية، بحيث أنّ المدرس يختار ما يشاء هو أو يطلب منه من الفنون والكتب والأوقات والمراتب وعدد الدروس . والتلميذ يختار المُدرّس ومقدار الفنون والدروس. وقد ترتب على هاته الطريقة نقص فنون كثيرة وضعفاً، وكذلك أنّ بعض المدرسون قد يشرعون في دروس كثيرة من غير أن تشعر بها النظارة العلمية فلا تستأذن في إقراء هاته الكتب¹⁵¹. أما نظام الدروس بالجامع فهي على أربعة أشكال:

الأولى: أكثرها وقوعاً طلب التلامذة من الشيخ اقرأ كتاب يعينونه.

الثانية: طريقة الانتقال التدريجي لمن يختم كتاباً ويشرع فيما هو أرقى منه.

الثالثة: اختيار الشيخ كتاباً يعرضه على التلامذة فيجيبونه لقراءته.

الرابعة: اقتراح مشايخ النظارة زيادة دروس أما أوقات الدروس فهي غير مضبوطة والتلامذة قد يرتبون لأنفسهم دروساً لملئ دفتر الشهادات¹⁵².

أما كيفية ارتسام التلميذ في الجامع وقراءته والنصاب الواجب عليه، هو أن يبتدأ بدروس في فنون أربعة: التجويد، التوحيد، الفقه والنحو. وفي نهاية كل عام تدريسي يجري اختبار على جميع التلامذة للانتقال من كتاب إلى ما فوقه في العلوم المعينة له، فإذا تحققت كفاءته كتبوا له في دفتر شهادات دروسه ما تبين إمّا بالتقدم والاستمرار أو بالتنازل عن مرتبته إلى التي دونها¹⁵³.

أما التلميذ الذي قد أتم تعليمه فإنه يتقدم لامتحان التطويع، فيأتي بدفتر شهادات دروسه للجنة تعينها النظارة لتصفح دفاتر التلامذة لتحقيق اشتمالها على قراءة الكتب المطلوبة، ثم يجري اختبار لصاحب الدفتر بتكليفه تفهيم موضع من كتاب يختاره هو أو تختاره اللجنة ثم يلقيه عند اللجنة بصفة درس، فإذا رأوه أهلاً للانخراط في امتحان التطويع سجلوا اسمه مع الذين يُقبلون للامتحان الكتابي "المعبر عنه بالمقالة"، أما مواد الامتحان الكتابي فيعين

¹⁵¹ - المرجع السابق، ص 132 .

¹⁵² - هو دفتر في القالب الرعي يشتمل على 100 صفحة في كل ورقة جدال ثلاثة هي: ذكر اسم الكتاب، وضع اسم الشيخ المدرس بخطه، وشهادة الشهادة، ينظر: أليس الصبح بقریب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 132 .
¹⁵³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 132-133.

موضوع من فقه العبادات أو من فقه المعاملات من "مختصر خليل" وبعد القبول يجرى امتحان شفاهي بإلقاء درس يُعَيَّن لكل تلميذ، وبعد قبوله يجرى عليه إلقاء أسئلة من علوم الفقه، والنحو، والصرف، والبلاغة، والمنطق، والحساب، والمساحة، والتاريخ، والجغرافيا

2- أحوال الدروس ومدرسيها:

يُباشِر المدرّسون والمتطوعون التدريس على نحو بيناً في الأسلوب، والواجب على المدرس من الرسميين درسان وقد يتطوع بدروس زائدة على الدرسين، أما المتطوعون فأكثَرهم دروس متعددة وقد تبلغ دروس الواحد منهم إلى عشرة إلى أربعة عشر موزعة على الأيام. وقد يقع التقصير في الدروس عن أقل الوقت القانوني وكذلك التمرين في الدروس ضعيف، وهذا التهاون في التمرين من أسباب القصور على غالب التلامذة، فقد يقرأ التلميذ الأجرومية مراراً ولا يستطيع أن يشرح مثال لم يذكره الشارح¹⁵⁴.

3- أحوال التلامذة : عدد التلامذة كل عام زهاء الألف، منه في المرتبة العالية أو منتهى المتوسطة نحو الأربعمئة، وفي الابتدائية نحو الخمسمئة. أما حضور للدروس فعلى الكيفية المتعارفة بهيئة "الحلق" المحيطة بالمدرس وقد يكثر في بعض الدروس فيكون منهم في الدرس أكثر من مائة . ومعاملة التلاميذ للمشائخ فهي في غاية المبرّة والإجلال، فقليل منهم سيئ السيرة، فحوادث التلاكم في الدروس قليلة، وكذلك تدليس شهادات المشائخ زوراً في بعض الدفاتر، وإذا رفعت هاتاه الحوادث إلى النظارة فيشبع المتهم توبيخاً وتهديداً ثم يشفع له أما قضايا التدليس فيحجزوا عنه دفتره المدلس، فالشيخ يثنى على التلامذة الذين يردون إلى الجامع بعد أن قرأوا خارج الحاضرة، فقد أظهرت تجربة الاختبار أنهم أشد نباهة واثقاً وكفاءة للتقدم وأحسن تحصيلاً¹⁵⁵.

4- حال التأليف في العلوم: أعطى الشيخ أهمية بالغة للمؤلفات التي تدرس أو الكتب المقررة، لأن إصلاح التأليف هو المرجو لإصلاح تلامذتنا حتى ننشئ منهم معلمين أكفاء للمستقبل. ويؤكد الشيخ على وجوب تطوير هذه التأليف لأنها تسهم في العملية التعليمية

¹⁵⁴ — المرجع السابق، ص 137.

¹⁵⁵ — المرجع نفسه، ص 138

وتساعد على بناء الفكر وتنظيمه، وهذه التأليف لم تتطور بل بقيت جامدة رغم تبدل العصور وتقدم العلوم وتطور الأمم.

5- إصلاح التأليف: قدّم الشيخ ابن عاشور نقداً تحليلياً للمؤلفات كما اتضح وانتهج منهجاً عملياً لبلوغ الغاية ومن وجوه النقد التي أشار إليها وأوصى بتجنبها:

أ- ترك التطويلات في التأليف وتجنب التخليط والاستطراد وقد كانت المؤلفات المقررة محشوة بهذه الهنأة، فمثلاً يكون الطالب يقرأ كتاباً في مبادئ النحو فلا يلبث أن يجد نفسه في نواذر ذلك العلم فهذا كله يجب أن يدحض.

ب- تجنب التأويل للتراكيب الفاسدة، ولا بد أن نختصر العبارات الأصلية لسهولة الحفظ مع شرط وفائها بمعناها.

أما المنهج العلمي الذي ارتأه وأكد عليه لإصلاح التأليف يتمثل في تأسيس لجنة العلماء لتتظر في خلل الكتب وإصلاحها وإحياء ما اندرس منها، ولترجمة ما نحتاجه من كتب العلوم مثل كتب الطبيعة والجغرافيا وطبقات الأرض¹⁵⁶.

6- إصلاح العلوم في نظر ابن عاشور: العلوم الإسلامية ذات صلة عضوية بالإصلاح التربوي الذين دعا إليه الشيخ ابن عاشور لذلك وصف شيخنا فلسفة العلوم وأبعادها العقلية والتربوية وتحدث عما طرأ عليها من أسباب الانحطاط وربط ذلك بتأخر الأمة الإسلامية، فيقول أن العلوم مرآة صادقة تنعكس عليها علوم الأمة ونشاطها.

6-1- الأسباب العامة لتأخر العلوم:

أ- الفتن التي استأصلت الدولة العباسية وأضرمت ناراً في العالم كله فأذوت العلوم في العالم الإسلامي.

ب- اشتغال العلوم على مسائل لا حاجة إليها ولا فائدة ترجى منها وإهمال مسائل مهمة ذات جدوى.

ج- غياب الاختصاص وطموح النفس إلى المشاركة في جميع العلوم هذا الأمر حال دون التحقيق في علم من العلوم، لأن الزمان أقصر من استيفاء كل العلوم ولا سيما مع اختلال التعليم.

¹⁵⁶ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، بلقاسم غالي، ص 199 .

د- الانبهار بآراء المتقدمين وتنزيهها عن الخطأ في تعليمنا.

هـ- التقليد وهو ناشئ عن الأسباب الماضية فإن تداخل العلوم وحب المشاركة في جميعها يسلب من النفوس حب النقد فتبقى على التقليد.

و- سوء التفاهم الذي كان بينهم في خلافتهم وسرعتهم إلى نبز المخالفين وبذلك تباعدت الآراء بدلاً من التفاهم، كمسألة صفات المعاني وقدرة العبد والحسن¹⁵⁷.

6-2- الأسباب الخاصة بتأخر كل علم على حدى :

6-2-1- علم التفسير: التفسير: شرح مراد الله تعالى من القرآن ليفهمه من لم يصل ذوقه وإدراكه إلى فهم دقائق العربية وليعتاد بممارسة ذلك فهم كلام العرب وأساليبهم من تلقاء نفسه، وأسباب تأخره:

أ- الولع بالتوفيق والنقل إبقاء للغلط الذي عظموا أمره في القرآن حتى قالوا "خطؤه كفر".
ب- الضعف في اللغة والبلاغة وقليل المبرز فيهما مثل: الزجاج والزمخشري وابن عطية.

ج- الضعف في علوم يظنونها بعيدة عن القرآن وهي ضرورية لمعرفة عظمتها العمرانية مثل التاريخ وفلسفة العمران والأديان والسياسة.

د- خروج بعض التفاسير عن ذكر العلوم التي لها تعلق بفهم الآية إلى مسائل من علوم متنوعة ضعيفة المناسبة بموضوع تفسير تلك الآية¹⁵⁸.

6-2-2- علم الحديث : أغلب اطلاقاته وأخصها، حفظ ما نقل عن ﷺ من قول وعمل، وما نقل عن أصحابه من سنته وسنتهم الراجعة إلى التأسى به. وكانت أسباب الفساد في علم الحديث قليلة بشدة يقظة أهله لكن حصل منها شيئان:

أولهما: اغترار الناس حسن أحوال الرواة من غير نقد فوقعوا في مصيبة الذهول اسلموا من مصيبة التدليس والغرور¹⁵⁹.

¹⁵⁷ - المرجع السابق، ص 200-201.

¹⁵⁸ - ينظر: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحيية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 161-165 .

¹⁵⁹ - ينظر: المرجع السابق، ص 165-169.

ثانيهما: قصور الهمم عن مزاولة علم الحديث مزاولة نقد وضبط، حيث اقتنعوا بسرد الحديث أو حفظ الكثير منها، وربما كان مخلوطا صحيحة بضعيفة.

6-2-3- علم الفقه: ظهور الفقه في الدين قديم في الإسلام، بل مأمور به بقوله تعالى ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾¹⁶⁰ ليتفقهوا في الدين ولكن شدة الحاجة إليه إنما كانت بعد وفاة النبي ﷺ ومع حدوث الحوادث، وسعة السلطان، وأما أسباب تأخره:

الأول: التعصب للمذاهب والعكوف على كلام إمام المذهب واستتباط الحكم منه بالالتزام.
الثاني: إبطال النظر في الترجيح والتعليل ورمي من يسلك ذلك بأنه يريد إحداث مذهب جديد أو قول ثالث، كما هو في الإجماع من كتب الأصول.

الثالث: عدم العناية بجمع النظائر والقواعد للفروع المتحدة بذكر الحكم الجامع بينهما.
الرابع: إهمال النظر إلى مقاصد الشريعة من أحكامها وهذا موجب تشعب الخلاف.
الخامس: ضعف الفقهاء في العلوم يؤثر الضعف فيها قصورا عند الاستنباط.

السادس: الإعراض عن التأليف المفيدة المهذبة الواضحة العبارات.

السابع: الاختلاف في أصول الاستنباط فنجد لكل مذهب أصولا خاصة.

الثامن: صرف جُلِّ هممهم إلى فقه العبادات وتقصيرهم في فقه المعاملات¹⁶¹.

6-2-4- علم أصول الفقه: يقصد به ضبط القواعد التي يستطيع العالم بها فهم أدلة الشريعة ليأخذ منها الأحكام التفريعية. ونشأت في هذا العلم أسبابا توجب اختلالا في تعاطيه وهي:

الأول: توسيع العلم بإدخال ما لا يحتاج إليه حيث قصدوا منه أن يكون علم آلات الاجتهاد
الثاني: أن قواعد الأصول دونت بعد أن دون الفقه فوجدوا بين قواعده وبين فروع الفقه تعارضا، فلذا تخالفت الأصول والفروع على اختلاف المذاهب.

الثالث: الغفلة عن مقاصد الشريعة فلم يدونوها في الأصول.

¹⁶⁰ - سورة التوبة، الآية : 122.

¹⁶¹ - ينظر: أليس الصبح بقریب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 170-175 .

الرابع: تضمّن العلة مسائل لا طائل تحتها، مثل مسألة: هل كان النبي ﷺ متعبدا بشرع قبل نبوءته.

الخامس: إنّ غلق باب الاجتهاد وتحجير النظر حط من قيمة علم الأصول عند طالبيه فأودع في زوايا الإهمال وأصبح كلمات تقال وبذلك قلّ تدريسه¹⁶².

6-2-5- علم الكلام: عرّفه الشيخ بأنه العلم الذي يعرف به إثبات العقائد الإسلامية بإثبات الحجج ودفع الشبه وهو عبارة فكرة البحث في الوجود والموجود. ثم يعدد الشيخ الأسباب التي أخرت هذا العلم¹⁶³:

1- الخلاف في الإصلاحات والصفات وتعديدها، وكثر الخلاف اللفظي.

2- الغلو في التنزيه، وقد ظنوا به تعظيم الله تعالى بما لم يصف به نفسه.

3- قول ما لا يعقل اعتقاده وعندهم أن ذلك من محاسن الإيمان وربما جعلوه بمعنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾¹⁶⁴ فمن ذلك قولهم: "إن السمع يتعلق حتى بالمبصرات" فهو بظاهره فاسد إلا أن يصرحوا بأنه كناية عن العلم، وأن الكلام بلا حرف مع أنه كلام وأن رؤيتنا الله في الآخرة بالعين لكن بلا جهة ولا كيف.

4- التنازع والزام لوازم المذهب وعدم الرجوع إلى ما يجترئ عليه.

5- إدخال الاستياء في التوحيد ليست منه والغرض منه إكبارها في عيون العامة ومن يلحق بهم مثل مسألة الخلافة، والخروج على السلطان¹⁶⁵.

6-2-6- علم الفلسفة والمنطق: يعتبر ابن عاشور أنّ للفلسفة منزلة هامة في الفكر البشري، وهي ذات تأثير في إثارة العقل وتدريبه على فتح أبواب الحقائق المصفودة¹⁶⁶.

¹⁶² - ينظر: المرجع نفسه، ص 176-177.

¹⁶³ - من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 202.

¹⁶⁴ - سورة البقرة، الآية: 03.

¹⁶⁵ - أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص 181-182.

¹⁶⁶ - من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 203.

وأما المنطق ففائدته تحريك الذهن بمسائله وتمارينها وإقامة الحجة على المكابر وقت الجدل حيث يريد مغالطة الفطرة ومغالبة الحق، وقد ذكر الشيخ عدة أسباب لاختلال هذا العلم:

1- سوء الترجمة والغفلة عن التطبيق على أسلوب العربية.

2- فراغ بعض المسائل وشغورها¹⁶⁷ من التمرين في الصناعات الخمس وغيرها¹⁶⁸.

6-2-7- علم التاريخ: يقول الشيخ: إن التاريخ فطري لأن حديث الناس بحوادثهم سنة آدمية، أما تدوينه فيكون عند ابتداء النهضة حيث يشعر الناس بوجوب تاريخ حالهم لوزان مستقبلهم بماضيهم، ومن أسباب نقص تاريخنا التي طرحها الشيخ:

1- الأسطورات القديمة وهي أصل كل تاريخ ولكن ينبغي أن يُعرف صدقها من كذبها.

2- تعصّب المؤرخ وبعده عن الإنصاف.

3- سوء المآخذ وفساد الاستنتاج، وهو عيب كثير من مؤرخي عصرنا اليوم في الشرق.

4- الوهم القديم وهو ظن أن العلم ليست فيه مسائل كلية وهي القواعد لا طائل في دراسته، وحين لا يرون للتاريخ قواعد ظنوه موضوعاً للتسامر به وتركوا دراسته¹⁶⁹.

6-2-8- اللغة العربية: يرى الشيخ محمد الطاهر بن عاشور أن اللغة العربية ترتقي بارتقاء الأمة وتنحط بانحطاطها، فإن اللغة ما وضعت إلا للتعبير عن المراد وتصوير الفكر النفساني.

أولاً: عوامل تاريخية ساعدت على فساد اللغة العربية:

1- إنّ بعض المؤلفين الذين تلقوا اللسان تلقياً علمياً صناعياً لا سماعياً ذوقياً، فلما ألقوا ترجموا عباراتهم الأعجمية إلى مفردات عربية ففسد الأسلوب.

¹⁶⁷ - شجر؛ شُغُورًا، الأرض : لم يبق فيها من يحميها ويضبطها، فهي شاغرة ، إناء شاغر : فارغ ، المنجد في اللغة العربية والأعلام، علي بن الحسن الهنائي الأزوي، ص 393.

¹⁶⁸ - أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحيّة، محمد الطاهر بن عاشور، ص 195.

¹⁶⁹ - المرجع نفسه، ص 196-167.

2- إنّ الأدباء والشعراء المولدون الذين أفسدوا المجاز والاستعارة وغفلوا عن المراد منهما وهو إحضار الصور في الأذهان.

3- الذين فسّروا مفردات القرآن بقوة معنى الكلام، فقالوا إنّ "هل" في ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾¹⁷⁰ بمعنى "قد" ¹⁷¹.

ثانياً: عوامل حديثة ساعدت على فساد اللغة العربية:

1- إشراف الأسلوب العربي على الاضمحلال بتقادم العصور.

2- سوء التعليم فيها بسوء فهم المفردات ثم يستعملونها استعمالاً فاسدة.

3- البعد عن حفظ كلام العرب من منظوم ومنثور وعن معرفة تاريخ العرب وأحوالهم.

ثالثاً: عوامل مكّمة ساعدت على فساد اللغة العربية:

1- إخلال القواميس اللغوية والغفلة عن التفقه فيها.

2- صرف العناية على تحقيق مسميات الأسماء فلا تسمع تفسير مفرد إلا أن يقولوا معروف¹⁷².

7- إصلاح المعلمين: يذكر الشيخ الطاهر بن عاشور أنّ إصلاح حال المعلمين ركن عظيم من إصلاح التعليم، ويقول أن خطة تعليمنا الجديد أن لا تدع الأساتذة يعبثون بالقواعد بل تستعيد بمبادئ عقول النبهاء منهم، ثم يقول: فإنّنا لا نزال نحب احترامهم وعظمتهم وإخلاصهم في قلوب تلامذتهم¹⁷³.

وقد نقد الشيخ طرائق التعليم في عصره، فأبرز شيوع طريقة الإلقاء بينهم وتعلق بعضهم بسطحي المعلومات وتقديس التأليف والمعلومات القديمة وظنهم أنها قصارى ما تبلغه عقول البشر. وأنّ هناك صفة ذميمة منتشرة بين الجميع وهي التعلق بسفاسف الأمور

¹⁷⁰ - سورة الإنسان، الآية: 1.

¹⁷¹ - من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، بلقاسم غالي، ص211.

¹⁷² - أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص186-187.

¹⁷³ - ينظر: أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن عاشور، ص198، بتصرف.

والرمي إلى تحقير الغير وسعيهم إلى إقناع الناس بعلو درجتهم في العلم، وحُب المحمّدة بما ليس من فعله بحيث قل ما نجد بينهم أصحاب همم عالية ولهجة صادقة وكلمات صريحة¹⁷⁴.

والشيخ لا ينقد أساتذة عصره فحسب بل ينقد نفسه وأصدقائه شأن العالم المتمدرس الذي لا يتحرّج من النقد الذاتي، فقد نقل عن صديقه محمد الخضر بن الحسين قوله في مقولات رحلته الجزائرية: " وقد كنت عفاكم الله من ابتلى في درسه باستجلاب المسائل المختلفة الفنون وأتوكأ على أدنى مناسبة حتى أفضي الأمر إلى أن لا أتجاوز في الدرس شطر بيت من ألفية ابن مالك ثم أدركت أنها طريقة منحرفة المزاج عن الإنتاج". ويضيف الشيخ ابن عاشور قائلاً وأنا أيضاً عرض لي مثل ذلك في تدريس المقدمة الأجرومية فكنت آتي في دروسي بتحقيقات من شرح الشاطبي على الألفية، وفي درس مقدمة إيساغوجي¹⁷⁵ أجب في مسائل من النجاة لابن سينا، ثم لم ألبث إلا أن اقتلعت عن ذلك. ثم ينبه الشيخ على أخص واجبات الأساتذة أن يكونوا قدوة لتلاميذهم، فعليهم أن يعرفوهم حب العلم والسعي لإصلاح أنفسهم وأمتهم وأن ينشئهم على خلال المثابرة والشجاعة والحرية والمروءة حتى يكونوا أعضاء نافعة عامة¹⁷⁶.

7-1- الامتحان و المناظرة : أما الحصول على رخصة للإقراء في الجامع الأعظم فكانت بإجراء اختبار عام كل سنة على جميع التلامذة بإلقاء تقرير شفاهي، من ذلك الوقت صار التطويع منوطاً بالامتحان، ثم طبق هذا العمل بهذا الاختبار بجميع مراتب العمل عدا مرتبة الإنهاء، وكان عبارة عن إلقاء درس واحد في كتاب يختاره التلميذ من الكتب التي له فيها الدروس، والمشايخ يعينون له موضع ويعطونه ثمانية أيام لمطالعة وإلقائه، وإذا أحسن إلقائه رخص له الإقراء في الجامع الأعظم وبذلك تكاثر عدد المطوعين فظهر للنظارة تصيير الامتحان بثلاثة دروس وجعلت مدة المطالعة يوم وليلة لكل درس ولما

¹⁷⁴ — ينظر: المرجع نفسه، ص 198—202.

¹⁷⁵ — إيساغوجي: لفظ يوناني معناه الكليات الخمس وهو اسم لكتاب معروف ألفه الشيخ أثير الدين الأبهري رحمه الله في علم المنطق اعتاد الشيوخ البدء به في تدريس الطلاب، وقد شرحه العلامة زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي رحمه الله وأسماء المَطَّلَع، ينظر: <http://www.aslein.netshowthread.php?t=11502>.

¹⁷⁶ — من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، ص 206.

ظهر خلل هاته الطريقة إلى سنة 1316هـ حيث صدر الأمر الذى عين أسلوب الامتحان وتركيبه من امتحان كتابى فى مقالة موضوعها باب من أبواب الفقه ودرس من علوم ستة: الكلام، الفقه، أصول الفقه، البلاغة، المنطق والنحو¹⁷⁷. لا يُعَيَّن التلميذ كتابه ولا علمه ولكن تُعين دروس على إعداد التلامذة الراغبين من أحد ستة كتب: شرح المحل على جمع الجوامع فى الأصول وشرح الدردير على مختصر خليل فى الفقه وشرح المقدمة الوسطى للسنوسى فى الكلام وشرح الأشمونى على الخلاصة فى النحو، والمختصر لسعد الدين على التلخيص فى البلاغة وشرح الخبيصى على التهذيب فى المنطق.

وابتداً هذا الترتيب فى عام 1317هـ فانصرفت عناية التلامذة بعد بضع سنين إلى التملّى عن حفظ المقالات الفقهية، وضعف اعتناؤهم بالفهم فى الدروس باستحضار القواعد العلمية وإنما يستحضرون مسائل سطحية تعين عن الأجوبة، وآل ذلك إلى تأخر فى ملكات الإفهام وتحقيق المسائل، وكان النّظار فى السنين من إجراء الامتحان بالطريقة الجديدة قد اقتصروا على تعيين مواضع المقالة الفقهية فى أبواب العبادات فبعث ذلك التلامذة على الاقتصار فى تحضيرهم على العبادات دون المعاملات وبذلك أهملوا أهم ما يحتاجون إليه وهو فقه المعاملات كالقضاء والوكالة على الخصوم... وغيرها¹⁷⁸.

ولكن بعد انتقادات قولية اقتنع النّظار بالعدول عن هذا التخصيص فصاروا يعينون المقالة مرة فى العبادات ومرة فى المعاملات، فعكف التلامذة فى سنتهم الأخيرة من التعليم على حفظ مقالات الفقه، واعتمدوا فى أمر إلقاء الدروس الشفاهية على إعانة أساتذتهم حيث كان التلميذ يعطى نصف يوم لتحضير الدرس الذى كان يلقيه فيستعين لمن يحضر معه فى تلك المدة من متفوقى أقرانه، إلى أن صار حال الامتحان متقهراً عاماً فعاماً.

أما شهادة التطويع فى علم القراءات، فرأى النّظارة أنّ التلميذ الذى زاول تجويد القرآن وقراءات قرائه يجرى عليه اختبار فى حفظ القرآن، ومبادئ علوم التوحيد وغيرها من العلوم، وبعد إجرائه للامتحان فإذا رآه المدرس أهلاً للانخراط أذنت له النّظارة، فيجربى

¹⁷⁷ - أليس الصبح بقريب التعليم العربى الإسلامى دراسة تاريخية وآراء إصلاحية، محمد الطاهر بن

عاشور، ص 203-204.

¹⁷⁸ - المرجع نفسه، ص 205.

عليه امتحان في مادتين: قراءة ثمن حزب جمعاً بين القراءات السبع، وثانيها: إلقاء درس من شرح ابن القاصح على "حرز الأمان"، يعين موضوع المادتين من طرف النظارة بطريقة القرعة ويعطى يوم واحد لمطالعة المادتين فإذا تبينت كفاءته يعطى له شهادة التطويع في علم القراءات. يقول الشيخ: إن الامتحان اليوم قائماً على ثلاث عمد، الكتابي (المقالة)، التدريس، والأسئلة، فلننظر أي الثلاثة أدخل في الدلالة على صلوحية المحصل للتدريس، ولا شبهة في أن نجد ذلك هو الفهم والعبارة¹⁷⁹.

7-2- المناظرة للتحصيل على خطة التدريس:

أما التحصيل على رتبة للتدريس فقد كان في القديم، منوطاً بالشهرة في العلم، فإذا عرف واشتهر أجريت له الجراية التي كانت تعطى للعلماء في صدر الدولة الحسينية. فكان النظار يرجحون من يرون ترجيحهم، وإذا أشكل عليهم الأمر توجهوا إلى المناظرة¹⁸⁰.

¹⁷⁹ — أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحيية، محمد الطاهر بن عاشور، ص206.

¹⁸⁰ — المرجع نفسه، ص210.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث والذي شمل حوصلة عامة حول الإحاطة بشخصية ابن عاشور والجوانب التي وقف عليها كإصلاحات التربوية وفكره الاجتماعي، حيث كان-ابن عاشور- ممّن بزغ نجمه وسطع قلمه في التيارات الثقافية التي تفاعلت في زمنه وأحدث أثرها في نفسه، ورصد كل ما يدور في ثقافته شاملا كل أشكال المعرفة كونه شخصية علمية متعددة الجوانب رحبة الآفاق، فالشيخ مجتهد ومفسر للقرآن وعالم بالحديث الشريف ومفكر اجتماعي ومصلح تربوي، أديب وناقد وثقافته نموذج للثقافة الزيتونية العريقة.

فمن خلال ما ذكرناه سلفاً عن حياة وإصلاحات الشيخ ابن عاشور قد استخلصنا جملة من النتائج هي:

- أن أهم ما نقف عليه من حياة الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور كونه علماً من أعلام هذا العصر وركن من أركان الحركة الإصلاحية وإمام الأئمة المجتهدين بالزيتونة.
- تأثره بالمشروع الإصلاحي خاصة من قبل الشيخ محمد عبده، وقد ظهر ذلك في إصلاحه التربوي وعزمه في إصلاح المجتمع والذي حقق من خلاله نشر التعليم الزيتوني في تونس والجزائر.

- يركز كتابه (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) على إثارة بعض القضايا الاجتماعية العميقة لإصلاح الفرد والمجتمع من خلال ما استلهمه من أصول الإسلام الاجتماعية.

- امتاز ابن عاشور بآراء جريئة في ميدان الإصلاح التربوي إذ نقد العلوم الإسلامية وبيّن طرق النهوض بها وعرج على المؤلفات فبيّن مساوئها ونقد المعلمين.

- ولعلنا بهذه الدراسة نكون أثّرنا عددا من القضايا في فكر الشيخ ابن عاشور التي قد تفتح الباب لدراسات مفردة يستطيع الراغبون في هذا اللون من البحث أن يفكروا فيها وأن يختاروا منها ما يرون أنه جدير بالبحث العلمي، ونكون قد أجبنا عن بعض التساؤلات المطروحة سابقاً.

- ونعتقد أن ما ذكرناه في هذه الدراسة تستحق أن يعيد القارئ النظر فيها، إمّا متابعة أو إضافة أو إكمالاً وزيادة استقصاء للتعريف بهذه الشخصية.

- ويشهد الله لم يكن عملنا هذا مريحا ولا سهلا، بل كان متعباً صعباً لكننا أخلصنا وتفانينا فيه، فقد كان شعارنا، وما زال: "من عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل" ولم يغيب

عنّا، ونحن نبحث في هذا الصدد أن قد وضعنا لبنة في صرح المعرفة ونكشف عن جوانب ثقافية إسلامية لمرحلة وعصر وأمة من خلال علّم من أعلام الفكر.

- وفي الختام نرجو أن يكون هذا العمل مبادرة طيّبة تفتح الباب أمام دراسات أخرى في هذا المجال تكون أعمق وأكثر نضجاً.

الفهارس العامة

أولاً- فهرس الآيات القرآنية

ثانياً- فهرس الأحاديث

ثالثاً- فهرس الأعلام

رابعاً- فهرس المصادر والمراجع

خامساً- فهرس الموضوعات

أولاً: فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقمها	طرف الآية
44	البقرة	03	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾
17	البقرة	185	﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
16	البقرة	205	﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا.....﴾
22	البقرة	228	﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾
09	المائدة	05	﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ﴾
27	المائدة	50-49	﴿وَأَنْ أَحْكُمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ.....﴾
15	الأنعام	156-155	﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ....﴾
43	التوبة	122	﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ....﴾
23	يونس	19	﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾
29	هود	81	﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾
16	هود	88	﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي...﴾
20	النحل	43	﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾
24	النحل	90	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾
22	النحل	97	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى.....﴾
24	النحل	125	﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ....﴾
24	الفرقان	44	﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ....﴾
18	النمل	79	﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾
16	الروم	30	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ.....﴾
23	الحجرات	10	﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾
25	الحجرات	13	﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾
23	المجادلة	22	﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ....﴾
46	الإنسان	01	﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث

الصفحة	طرف الحديث
21	« التقوى هاهنا »
23	« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره »
18	« بعثت بالحنفية السمحة »
25	« بعثت لأتمم مكارم الأخلاق »
17	« رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع, سمحاً إذا اشترى, سمحاً إذا اقتضى »

ثالثاً: فهرس الأعلام

الصفحة	الأعلام
17	ابن عطية
28	أبو الحسن الماوردي
32	أحمد باي
26	أرسطو
32	أفلاطون
34	بونالد
33	خير الدين
34	محمد عبده
34	محمد علي باشا
32	محمد قبادو

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

* المصادر والمراجع:

1. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام, محمد الطاهر بن عاشور, دار سحنون للنشر والتوزيع, تونس, ط2, 1427هـ/2006م.
2. أعلام العرب عبقرى الإصلاح والتعليم, للأستاذ الإمام محمد عبده, عباس محمود العقاد, المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر, ط2, (دس).
3. أعلام من المغرب العربي, محمد الصالح الصديق .
4. أليس الصبح بقريب التعليم العربي الإسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية, محمد الطاهر بن عاشور, دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة, ط1, 1427هـ/2006م .
5. بحوث المؤتمر الدولي حول: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وقضايا الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر, رؤية معرفية ومنهجية" أليس الصبح بقريب, تفسير التحرير والتطوير, مقاصد الشريعة الإسلامية, أصول النظام الاجتماعي في الإسلام", فتحي حسن ملكاوي, مكتب التوزيع في العالم العربي, بيروت, لبنان, ط1, 1432هـ/2011م .
6. بيان موقف شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور من الشيعة من خلال تفسيره (التحرير والتطوير), خالد أحمد الشامي, مركز إحياء تراث آل بيت ط1, 1425هـ/2005م .
7. تفسير التحرير والتطوير, محمد الطاهر بن عاشور, ج1, الكتاب الأول, الدار التونسية للنشر, تونس, 1984م .
8. حوار مع أشعري ويليهِ الماتريدية ربيبة الكلاية, محمد بن عبد الرحمن الخميس, مكتبة المعارف للنشر والتوزيع, الرياض, ط1, 1426هـ/2005م .
9. سنن الدارمي, أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد التميمي الدارمي السمرقندي, تح: فؤاد أحمد زمرلي, خالد السبع العلمي, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1, 1407هـ.
10. صحيح البخاري المسمى الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسُنَّه وأيامه, للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري, اعتنى به أبو عبد الله عبد السلام بن محمد بن عمر علوش, مكتبة الرشد — ناشرون — المملكة العربية السعودية — الرياض ط2, 1427هـ — 2006م.

11. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط1، 1421هـ/2000م.
12. عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مصطفى حميداتو، ط1، 1977م.
13. علماء ومفكرون معاصرون لمحات من حياتهم، وتعريف بمؤلفاتهم، محمد الطاهر بن عاشور علامة الفقه وأصوله والتفسير وعلومه، إيداد خالد الطباع، دار القلم، دمشق، ط1، 1426هـ/2005م.
14. الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم (عقائد الفرق الإسلامية وأراء كبار أعلامها)، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، مكتبة بن سينا للنشر والتوزيع، تح: محمد عثمان الخشت، (دط)، (دت).
15. في التأصيل الشرعي والوعي السياسي، الدولة المدنية مفاهيم وأحكام، أبو فهر السلفي، العصرية للنشر والتوزيع ط1، 1432هـ/2011م.
16. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط2، 1428هـ/2007م.
17. معجم البلدان، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ج1، دار صادر بيروت، ط1، 1397هـ - 1977م.
18. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، أبي الحسن علي بن إسماعيل (الأشعري)، ج1، تح: محمد يحيى الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1369هـ/1950م.
19. مقدمة في الملل والنحل، ناصر بن عبد الله القفاري، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط1، 1427هـ/2006م.
20. من أعلام الزيتونة: شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، بلقاسم غالي، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط1، 1417هـ/1996م.
21. الموطأ، مالك بن أنس، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ط4، 1414هـ/1884م.
22. النظرية النقدية الغربية من أفلاطون إلى بوكاشيو، عيد الدحيات، دار الفارس للنشر والتوزيع ط1، 2007م.
- * المعاجم :
23. رائد الطلاب المصور، عربي عربي، جبران مسعود، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.

24. المتقن الوسيط معجم عربي عربي، هزاز الراتب وجميل أبو نصري، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، (دس)، (دط) .
25. منجد اللغة والأعلام، علي بن الحسن الهنائي الأزوي، دار المشرق بيروت، لبنان، ط29، 1986م
- * الرسائل الجامعية:**
26. مقصد حفظ العقل عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، محمود باي، رسالة ماجستير، جامعة باتنة، 1426/1427هـ - 2005/2006م .
27. مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد بن محمد الغزالي، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة والنقد، جامعة أم القرى، السعودية، 1424/1425 هـ .
- * المجلات :**
28. العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، أحمد عيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث.
- * المواقع الالكترونية:**

29- <http://www.al-hakawati.net/arabic/arabpers/lit7.asp>

30- <http://majles.alukah.net/showthread.php>

31-<http://www.al-hakawati.net/arabic/arabpers/lit7.asp>

32 - <http://home.php?language=arabic&word-www.almaany.com>

33-<http://www.aslein.net/showthread.php?t=11502>

34-<http://www.alitthad.com/paper.php?name=News&file=article&sid=19418>

35- http://www.alarabicclub.org/?p_name=phmous_details&id=286

خامساً: فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
الملخص باللغة العربية	
الملخص باللغة الفرنسية	
شكر وعرفان	
الإهداء	
المقدمة	أ-د

المبحث الأول : موجز سيرة الإمام محمد الطاهر بن عاشور

02	المطلب الأول: حياته الشخصية
02	1- عصره
03	2- نسبه ومولده
03	3- شيوخه وتلاميذه وأقوال العلماء فيه
05	المطلب الثاني: حياته العلمية
05	1- نشأته التعليمية
06	2- وظائفه
07	3- أولياته
08	المطلب الثالث: أشهر فتاويه والمحن التي واجهها
09	1- أشهر فتاويه
10	2- محن الشيخ
11	المطلب الرابع: وفاته وأهم آثاره
11	1- وفاته
11	2- مؤلفاته

المبحث الثاني: إصلاحات ابن عاشور في الفكر الاجتماعي

14	تمهيد
15	المطلب الأول : الفكر الاجتماعي عند ابن عاشور
15	1- الدين ضرورة إنسانية
16	2- الإسلام خير الأديان
19	المطلب الثاني : أصول إصلاح الأفراد
19	1- إصلاح الاعتقاد
19	2- إصلاح التفكير
20	3- إصلاح العمل
21	4- مكانة المرأة في النظام الاجتماعي
23	المطلب الثالث : أصول الإصلاح الاجتماعي

23	1- إيجاد الجامعة الإسلامية
23	2- الأخوة الإسلامية
24	3- مقومات النظام الاجتماعي في الإسلام

المبحث الثالث : منهج ابن عاشور الإصلاحي في مجال التربية والتعليم

31	المطلب الأول: الفكر التربوي عند ابن عاشور
32	أولاً: أثر العوامل الداخلية
34	ثانياً: أثر العوامل الخارجية
35	المطلب الثاني: أسباب تأخر التعليم الزيتوني
39	المطلب الثالث : حال التعليم في عصر الشيخ
39	1- حال النظام في الجامع الأعظم
40	2- أحوال الدروس ومدرسيها
40	3-أحوال التلامذة
40	4-حال التأليف في العلوم
41	5- إصلاح التأليف
41	6-إصلاح العلوم في نظر ابن عاشور
51	الخاتمة
54	فهرس الآيات
55	فهرس الأحاديث
55	فهرس الأعلام
56	فهرس المصادر والمراجع
59	فهرس الموضوعات